١٩٤٨/٦

منبر الإسلام

مجلة المساجد

دينية . ثقافية

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

جروب مجلات قديمة - تلجرام https://t.me/megallat/ Not-for-salle

بسم الله الرحمن الرحيم

حسان محمد

أخوة المؤمنين

الإسلام دين اجتماعي كفلت مبادئه سلامة المجتمع وصيانته وتضمنت تعاليمه سعادة الإنسان وهناءته وشرع من النظم ما يقوى دعائم التعاون بين أبنائه ويثبت أركان التضامن بين أفراده وأسره وجماعاته، وطوائفه وشعوبه وأممه، ليؤلفوا قوة متماسكة البنيان ويكونوا وحدة عزيزة السلطان تهدف إلى غاية واحدة هي نشر المحبة والسلام والأمن والنظام ومنع البغي والعدوان واستئصال الظلم والطغيان ولا تتحقق هذه الغاية السامية إلا إذا تعاون المؤمنون على تحقيقها بشتى الوسائل من مودة وتآلف وتراحم وتعاطف ليشعروا أنهم وإن اختلفت أوطانهم أمة واحدة متماسكة مترابطة متعاونة متناصرة وأنها كالجسد الواحد إذا تألم عضو منه تألم له سائر الأعضاء.

على هذه السياسة الرشيدة كون الاسلام الوطن الإسلامى الأكبر وحاطه بسياج من تعاليمه القويمة تحصنه وتصونه حتى لا يعتدى على حماه معتد أو عابث.

وجعل الإسلام من مبادئه مسالمة من سالمه من الأمم والشعوب ومصادقة من صادقه من أهل الأديان والملل ومعاداة من عاداه ومنابذة من خاصمه واعتدى على حماه وبذلك تتحقق الأخوة الإنسانية والعزة الإسلامية وتتوافر للناس على اختلاف أجناسهم وأوطانهم وأديانهم العدالة والحرية والمساواة يقول الله تعالى «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم

وتقسطوا إليهم ان الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

وإنما شرع الجهاد إعلاء لكلمة الحق وازهاقا لكلمة الباطل ومنعاً للفساد وكبحاً للأطماع الجامحة واحتفاظاً بالكرامة حتى تظل الوحدة الإسلامية الكريمة والوحدة الانسانية الرحيمة بمأمن من الانهيار والزوال والضعف والاضمحلال .

على هذه الأسس سار المسلمون الأولون فدعوا إلى نصرة الحق وضربوا أحسن الأمثال فى التضامن والصبر والإحتمال فلم يرهبوا فى سبيل الله قوة خصومهم وللحق فى كل عهد وزمن خصوم يريدون اطفاء نوره « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

ولقد تحالف المشركون فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم على ايذائه واضطهاد اتباعه واشياعه فلم يفت ذلك فى عضده بل ثبت مع أصحابه فى سبيل هذه المكاره حتى أخذت دعوة الحق تشق طريقها إلى ما كتب لها من الغلبة والنصر والفوز والظفر ثم شرع الله الجهاد لرسوله تأميناً للدعوة إلى الله وصيانة لحرية المؤمنين « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

ولقد ظل المسلمون يقتفون أثر نبيهم فى جهادهم وسياستهم يدفعون عدوان المعتدين ويصونون حرمة المسالمين معتزين بوحدتهم مقدسين لأخوتهم واثقين من نصر الله لهم رغم قلتهم وكثرة أعدائهم وتثبيط المثبطين بل توكلوا على ربهم وصدق فيهم قول الله تعالى « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فأخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

وما أن لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى حتى زين الشيطان لبعض الناس أن ينقضوا عهد الله وأن يعبثوا بوحدة المسلمين .

فسير أبو بكر رضى الله عنه الجيوش لمقاتلة الخارجين والمرتدين وتقليم أظفار المعتدين حتى أعاد للنفوس الطمأنينة وأقر الأمن والنظام ومكن للهدوء والسلام

وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقتفى أثر سلفه أبى بكر فى اعزاز الإسلام واعلاء شأنه ورفع مناره ونشر رايته متبعاً فى جهاده أسمى مبادىء الانسانية فقد كتب لبعض قواده يوصى بأهل الذمة فيقول « من سالمكم فهو آمن بأمان الله لا يضره أحد من المسلمين ومن حضرهم من رجل مسلم فلينصرنهم على من ظلمهم فانهم أقوام لهم الذمة » .

ان الاسلام لا يعرف العدوان كما لا يعرف الذلة والمهانة والاستسلام والخنوع والتفرق والتخاذل .

وقد حانت ساعة يمتحن الله فيها قلوب المؤمنين فى تعاطفهم وتناصرهم وتعاونهم وتضامنهم فى قضية بلد مقدس له كرامته وحرمته ومكانته وقداسته فى نفوس أبناء العروبة وها نحن نرى من آثار التضامن والتعاون ما تنشرح له قلوبنا إعجابا وغبطة فقد وقفت الدول العربية عامة والاسلامية خاصة الموقف اللائق بعروبتها وكرامتها ومجدها وعزتها وتضامنها ووحدتها فآوت المهاجرين من ذلك البلد المقدس وأكرمت وفادتهم وأغدقت عليهم من كرمها وعطفها ما خفف عليهم محنتهم وفرج عنهم كربتهم وهون عليهم شدتهم وجعلهم يشعرون أنهم فى بلادهم وبين أهليهم وعشيرتهم .

وان المسلمين يحتفظون لفلسطين بذكريات غالية فالى بيت المقدس كان اسراء المصطفى صلى الله عليه وسلم فى ليلة مباركة من شهر رجب قبل الهجرة « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير »

ومنها كان معراجه إلى السماء فى تلك الليلة التى فرضت فيها الصلاة والمسجد الأقصى أول القبلتين وثالث الحرمين احتراما وفضلا وإلى تلك البلاد المقدسة

سار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب غداة أن فتحها المسلمون لتأمين أهلها ونشر العدل فى ربوعها ومنذ ذلك التاريخ وفلسطين بلد عربى إسلامى .

فلما اعتدى عليها المعتدون فى عهد الدولة الأيوبية لم يجد السلطان صلاح الدين الأيوبى بدا من تحريرها وتخليصها من أيدى أولئك المعتدين وسار إليها بجيشه الباسل فأعاد إليها حريتها وصان عروبتها .

وقد اضطرت الدول العربية إلى التدخل بالقوة لانقاذ فلسطين من أيدى الصهيونيين الذين ارتكبوا من الجرائم مايخجل الانسانية من تقتيل الأولاد والنساء والشيوخ والضعفاء .

فكان حقاً على الأمم العربية أن تمنع تلك الفظائع براً بالانسانية واستجابة لأمر الله حيث يقول « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما وما لكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان » ويقول جل شأنه « الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا » بهذا الهدى الكريم وبذلك الروح العظيم تسير الجيوش العربية لتزيل عن تلك الربوع المقدسة كابوس الصهيونيين الذين نزحوا إلى تلك البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد .

وان بشائر التقدم لتنبىء بظفر حاسم وفوز شامل ان شاء الله تعالى « وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » .

عبد الله المراغى

مدير المساجد

هداية القرآن

الاسراء فى القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)

هذه الآية من الكتاب الكريم فاتحة لسورة الاسراء التى تسمى أيضا سورة بنى اسرائيل لورود ذكر الأمرين فيها وهما أمران غريبان عجيبان يلفتان النظر ويستدعيان التفكير . وهذه السورة مكية كلها إلا قوله تعالى « وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك إلى قوله تعالى واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا »

وهذا يفاد منه أن حدوث الاسراء من الأمور التى حدثت فى الدور المكى وإنى أقف معك وقفات يسيرة قد تطول أحيانا عند كل كلمة من كلمات هذه الآية الشريفة لنتبين من خلال ذلك الاسراء فى القرآن الكريم .

قوله تعالى « سبحان » يعطى معنى التنزيه عن النقص والبراءة من كل مالا يتناسب مع الكمال وسبحان اسم من أسماء الأعلام يطلق على التسبيح الذى هو نفى العيوب والنقائص (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا)

وللكمال طريقان أحدهما بالايجاب والآخر بالسلب فاذا أوجبت لله بإقرارك الخلق والرزق والرحمة والعلم فقد حمدته وأثبت له أوصاف الكمال وإذا أبعدت عنه الشريك ونفيت الولد والوالد والجور والبخل فقد سبحته وبرأته

وتصدير آية الاسراء بعلم التسبيح اعلان وإعلام من أول الأمر بأن الاسراء حاصل بقدرة الله المطلقة التى لا يلحقها نقص وانما هو بارادته النافذة وحكمته التامة المبرأة عن السفه والعبث ، وانما هو بأمره النافذ الذى لن يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء .

والرسول صلوات الله عليه ما قال ان ذلك الاسراء من فعله أو بقوته وإنما قال أسرى بى كما قال ربه سبحان الذى أسرى بعبده » ومن كان هذا أمره فلا يصح أن ينكر عليه شيء من قوله فالاسراء فعل الله نزل به كتاب الله الكريم ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر والسبح فى اللغة معناه التباعد « ان لك فى النهار سبحا طويلا » ومنه سبح فى الماء إذا ذهب فيه وأبعد وجاء فى القرآن بمعنى الصلاة « فلولا أنه كان من المسبحين » وبمعنى ان شاء الله « قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون » وجاء فى الحديث بمعنى بهاء الوجه ونوره ومنه « لاحرقت سبحات وجهه ماادركت من شيء » وقد تكلف بعضهم فى رد هذه المعانى إلى التنزيه والبراءة وليس ذلك مقصودنا

« أسرى » وسرى لغتان وبهما جاء القرآن الكريم قال تعالى « والليل إذا يسر »وقال صاحب لسان العرب ان السرى سير الليل عامته وقيل كله وقال العلامة أبو السعود الاسراء السير بالليل خاصة كالسرى وقال الألوسى وليست همزة أسرى للتعدية كما قال أبو عبيدة ويرى ابن عطية انها للتعدية والمفعول محذوف أى أسرى ملائكته بعبده وقال الليث أسرى خاصة بأول الليل وسرى لآخره وأما سار فالجمهور على انه عام لا اختصاص له بليل أو نهار وقيل إنه مختص بالنهار.

« بعبده » والاجماع على أن المراد بالعبد هنا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لما ورد عن أبى القاسم الانصارى أنه لما وصل إلى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة أوحى الله تعالى إليه يامحمد بم أشرفك ؟ قال يارب بأن تنسبنى إلى نفسك بالعبودية فأنزل الله فيه « سبحان الذى أسرى بعبده » ولهذا قال صلوات الله وسلامه عليه قولوا عبد الله ورسوله وهذا مانع من الغلو فيه كما وقع للنصارى فى نبيهم الذين غالوا فيه حتى عبدوه وهو عبد وألهوه وهو مخلوق وجعلوه ابن الله فأشركوا وضلوا ضلالا بعيدا

واضافة العبد إلى الله بيان لتمحضه له وإخلاصه فى عبادته وعبوديته لله رب

العالمين لاشريك له والعبد يطلق على الانسان كله فلا يطلق على الروح دون الجسد ومن هنا تمسك القائلون بأن الاسراء كان بالجسد والروح

« ليلا » ظرف للفعل قبله أى أن الله أسرى ملائكته بعبده فى ليل وهو نكرة منون للتقليل والتبعيض وقراءة عبد الله وحذيفة « من الليل » أى أن إسراءه وقع فى بعض الليل وكان الاسراء ليلا لما جرت به الأحوال من أن الحبيب يسعى إلى محبوبه فى الخفاء وتحت جنح الظلام فالليل نهار المحبين والقمر شمس العارفين والنجوم منارات السالكين

وإذا تركنا هذا الأسلوب الصوفى وعدنا إلى دنيا الناس والحياة الواقعة وجدنا أن الليل وقت الانفراد والاختصاص والاختلاء ومجالسة الأكابر والاحتفاء بهم ولا يكاد المرء يدعو إلى حضرته ليلا إلا من كان به حفيا وعنده أثيرا .

والتاريخ يحدثنا أن الليل كان الزمن الذى أجريت فيه عظائم الأمور ولله فى بعض الليالى الفاضلة على أوليائه وأصفيائه كرامات ومكرمات

والسفر بالليل أسهل وأيسر ويقطع فيه المسافر مسافات شاسعة لايقطعها المسافر بالنهار إلا فى عسر ومشقة ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « عليكم بالدلجة » وقال ابن الجوز « ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سراج والسراج لا يوقد إلا ليلا وبدر وكذا مسير البدر فى الظلم »

« من المسجد الحرام » وبالرغم من هذا التحديد لنقطة الابتداء فى الاسراء فقد اختلف المفسرون فى تعيين المكان الذى ابتدأ الرسول منه السرى فقال بعضهم هو المسجد الحرام ذاته وهذا يدل عليه ظاهر اللفظ وقال البعض ان الاسراء ابتدأ من الحجر وهو قريب من القول الأول للملاصقة والمجاورة بين المكانين ويستدل عليه بقوله ﷺ « بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتانى جبريل »

وقال آخرون أسرى به من دار فاختة أم هانىء بنت أبى طالب ويؤولون

لفظ الآية بأن المراد بالمسجد الحرام الحرم كله وهو مجاز علاقته المجاورة وعن ابن عباس « الحرم كله مسجد » ويدخل فى حدود الحرم تلك الدار وهذا رأى الجمهور فقد أخرج النسائى عن ابن عباس وأبو يعلى فى مسنده والطبرانى فى الكبير من حديث فاختة أنه ﷺ كان نائما فى بيتها بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته » وروى أن أم هانىء قالت فقدته وكان نائما عندى فامتنع منى النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قريش وتفرقت بنو عبد المطلب يلتمسونه ووصل العباس إلى ذى طوى وهو ينادى يامحمد يامحمد فأجابه ﷺ فقال ياابن أخى أعييت قومك أين كنت ؟ قال ذهبت إلى بيت المقدس قال من ليلتك ؟ قال نعم قال هل أصابك إلا خير ؟ قال ما أصابنى إلا خير

ويمكننى الجمع بين هذه الروايات والأقوال بأن الرسول كان نائما فى بيت أم هانىء ثم انتقل إلى المسجد الحرام عينه عند الحجر والحطيم وظل فى مكانه هذا بين النائم واليقظان ثم كان إسراؤه وركوبه من باب المسجد الحرام حيث ابتدأ الاسراء به وهذا ما أراه فقد أخرج الشيخان والترمذى والنسائى من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال قال رسول الله ﷺ « بينا أنا فى الحجر وفى رواية فى الحطيم بين النائم واليقظان إذ أتانى آت فشق مابين هذه إلى هذه فاستخرج قلبي فغسله ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يقال له « البراق » فحملت عليه » وفى رواية ثم خرج به إلى باب المسجد فإذا بالبراق مسرجا ملجما فركب ومن هذا يتبين لك طريق الجمع بين تلك الأقوال كما يتبين لك صحة ما ارتأيناه وهو الأنسب فان ركوبه البراق وتحركه به يعتبر بدء الاسراء ومكان ذلك باب المسجد كما تظاهرت الروايات وفى العادة ان الانسان إذا انتقل من داره إلى المكان الذى توجد فيه العربات أو الطائرات أودواب السفر ثم أركبه صديق إحداها ليزور بقية الأصدقاء فى بلد آخر لا يقال انه سافر من داره وانما يقال سافر من مكان ركوبه الذى بدأ منه وكذلك الحال هنا وركوبه البراق من باب المسجد هو المألوف المعروف وليس بمألوف أن تدخل الدابة المسجد

ولا الحجر ولا الحطيم كما أنه ليس بمعتاد أن يعتلى ظهر ويبتدأ سفر من داخل تلك الأماكن المقدسة انه على الأقل يعد انتهاكا لحرمتها وخروجا على قداستها والقول فى ذلك فى نظرى بعيد عن الصواب ولكنه الخلاف الذى كتب له أن يكثر وأن يتكرر فى أجزاء قصة الاسراء والمعراج بنوع خاص حتى لايكاد المطلع يجد موقفا من مواقف القصة إلا وفيه خلاف بين الباحثين قديمهم وحديثهم وسلفهم وخلفهم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

وبعد فقد طال بنا الطواف حول المسجد الحرام وقطعنا ما تيسر لنا من أشواط البحث والنظر . فلننتقل (إلى المسجد الأقصى) وهو بيت المقدس ببلاد الشام وبينه وبين المسجد الحرام مسيرة أربعين ليلة على ما حدده بعضهم . وحدده المطعم بن عدى بشهر مصعداً أى ذاهبا . وشهر منحدرا أى آيبا . ولعل الاختلاف راجع إلى اختلاف الفصول صيفاً وشتاء . فليل الشتاء طويل . وليل الصيف قصير . وسمى بيت المقدس بالمسجد الأقصى لهذا البعد الشاسع بين الحجاز والشام . فمعنى الأقصى الأبعد . وقال ابن عطية « يحتمل أن يراد بالأقصى البعيد دون مفاضلة بينه وبين ما سواه . وهو بعيد فى نفسه للزائدين » . أى أن أفعل التفضيل على غير بابه .

وكان الاسراء إلى بيت المقدس دون غيره من الأماكن لما شرفه الله به من زيارات الرسل والأنبياء السابقين وإقامة أكثرهم حوله

فاسراء الرسول إليه جمع فضل إلى فضل وضم مجد إلى مجد ولعل أنسب الأقوال وأصدق التعليلات ان نهاية الاسراء كانت بيت المقدس لأنه بيت حرام وليت شطره الوجوه فى الصلاة وصلى به الأنبياء قبله ومشوا فى رحابه فالأنسب لخاتم النبيين وأفضل المرسلين أن يكون مسراه إليه ليتعرف عليه ولينال مانال الأنبياء قبله من شرف هذه المعرفة «قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى مايفعل بى ولا بكم إن اتبع إلا مايوحى إلى »

ولماذا نذهب مع القائلين والمعللين كل مذهب وفى نفس الآية الكريمة مايعتبر

علة صحيحة وميزة واضحة صريحة لبيت المقدس جعلته أهلا لأن يكون الاسراء إليه فقد قال تعالى فى محكم آياته « الذى باركنا حوله »

فالمسجد الأقصى فى بقعة مباركة ونقطة من الأرض طيبة وهو مركزها الثابت وقطب رحاها الذى تتنزل على مايحيط به نعم الله السابقة وأفضاله المتكاثرة ورحماته المتواترة ومكان هذا شأنه يجب أن يتسامى فى الوصول إليه الركب وأن تشد إليه الرحال وأن يكون قبلة الزائرين ومحط الطالبين لرحمة الله وفضل الله وبركة الله . هذا هو ما أراه وهو قبس من كتاب الله

والبركة هى الزيادة والنماء قال الجوهرى فى صحاحه يقال بارك الله فيك وعليك وباركك وقد بارك الله حول بيت المقدس ببركات لاتحد ونعم لاتعد سواء أكانت دينية أم دنيوية . فالصلاة فيه مضاعف ثوابها زائد أجرها كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة وهو جزء من الأرض حرام مقدس تعبد فيه موسى وساح حوله عيسى

وعند هذا البيت كان يهبط الوحى وتنزل الرسالات ويتفضل الله بالنبوات وتكلم الملائكة أهل الأرض من فوق السموات مجيبة دعاء الداعين وملبية نداء الطالبين « هنالك دعا ذكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين »

قالت ميمونة مولاة رسول الله ﷺ يانبى الله افتنا فى بيت المقدس . قال أرض المحشر والمنشر ائتوه وصلوا فيه فان صلاة فيه بألف صلاة

وروى هذا أيضا أبو داود فقال أبو ذر يارسول الله أى مسجد وضع فى الأرض أولا « قال المسجد الحرام » قلت « ثم أى » قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما قال أربعون سنة ثم أينما أدركتك الصلاة فصل فان الفضل فيه » ولنعد إلى الآية الكريمة قال تعالى « لنريه من آياتنا » والآية هى العلامة أى لنريه بعض

علاماتنا الدالة على بيان قدرته وأراه الله بعض الآيات والعلائم فى اسرائه لأنها لاتتناهى ولا تقف عند حد .

وقال الألوسى (لنريه من آياتنا أى لنرفعه إلى السماء حتى يرى ما يرى من العجائب العظيمة فقد صح أنه عرج به من صخرة بيت المقدس فكأنه يرى أن الآية للاسراء والمعراج معاً ولكنه يقول أخيراً وليست الآية نصاً فى المعراج بل هى نص فى الاسراء دونه إذ يجوز حمل بعض الآيات على ما حصل له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الاسراء فقط) .

وقوله تعالى « لنريه من آياتنا » بيان لعلة الاسراء وسببه والغاية منه فهو متعلق بقوله أسرى ويفهم من هذا ان الاسراء استلزمته المصلحة والحكمة البالغة فليس أمراً عبثاً وقد رأى الرسول فى اسرائه من الآيات ما يبهر النفوس ويشده العقول :

رأى دابة البراق تطوى به الأرض طياً كالبرق الخاطف تضع حافرها عند آخر ما يرى بصرها فذهب إلى بيت المقدس بالشام وعاد إلى مكان نومه بالحجاز ولم يفقد بعد حرارته .

ورأى تأييد الله له وتكريمه إياه وسير الملائكة فى ركابه كما رأى قوماً يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال ياجبريل من هؤلاء فقال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف .

« انه هو السميع البصير » أعاد بعض المفسرين الضمير على الله وهو الأظهر والمتبادر وأغرب بعضهم فجعل الضمير عائداً على الرسول المسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم ونقل ذلك أبو البقاء عن قائليه وفسر الجملة بأن الرسول سميع لأقوالنا بصير بذواتنا ليس أصم ولا أعمى حتى ينكر عليه ما رأى وما سمع فليحذر المعارضون هذه المكابرة فيما أحس بحواسه السليمة القوية وقال الجلبى « ان هذا القول لايبعد والمعنى عليه ان عبدى الذى شرفته بهذا التشريف هو المستأهل له فانه السميع لأوامرى ونواهى البصير الذى ينظر بنظرة العبرة فى مخلوقاتى فيعتبر بها

ولا يحيد عنها ولا يتجاوزها إلى غيرها ، ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى »

فالأسراء ثابت بالقرآن الكريم ومنكره كافر ، أما المعراج فقد ثبت بالأحاديث الصحيحة فمنكره فاسق مبتدع . وإليك بعض الأحاديث التى وردت فى المعراج روى البخارى عن مالك بن صعصعة رضى الله عنه قال . قال « ان نبى الله حدثه عن ليلة أسرى قال (بينما أنا فى الحطيم إذ أتانى آت فشق ما بين هذه إلى هذه فاستخرج قلبى . . . ثم أعيد ثم أتيت بدابة فحملت فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد . قيل وقد أرسل إليه . قال نعم . ففتح فاذا فيها آدم عليه السلام » وما زال يرقى من سماء إلى سماء حتى رفع إلى سدرة المنتهى ثم إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام . وفرضت عليه الصلاة ثم عاد إلى بيت المقدس ثم إلى بيته . فلما أصبح حدث قومه فمنهم من آمن ومنهم كفر . وطلبوا منه أن يصف لهم بيت المقدس فجلاه الله له حتى وصفه فكان ذلك مما ثبت قلوب المؤمنين : وزاد فى عناد المرتابين وصدق الله إذ يقول (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) قال ابن عباس هى رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ . والمختار أن الأسراء والمعراج كانا فى ليلة واحدة وهى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب قبل الهجرة بنحو عامين . بعد هجرة الطائف وقبل (بيعة العقبة) .

وقد كان هذا الحادث بشيراً بنصر دعوته . ونشر رسالته وعلو مكانته ورحمه الله صاحب الهمزية إذ يقول :

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

عبد الله المراغى
مدير المساجد

هدى الرسول

الرسول يكرم شعبان بالصيام
وليلة النصف بالقيام

عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : قلت يارسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال ذلك شهر تغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » رواه النسائى .

فضل الله بعض الخلق على بعض فكرم الانسان واصطفى من هذا النوع الرسل وفضل بعضهم على بعض لعظيم صبرهم على علاج أممهم واحتمال الأذى فى سبيل هدايتهم .

كما فضل بعض البقاع والأيام والليالى والشهور لما اقترن بها من ذكريات غالية تستدعى الاهتمام بها فتعبدنا فيها بأنواع من الطاعات تخليدا لتلك الذكريات .

فالبيت الحرام أول بيت وضع للناس بمكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ، ويوم عرفة يوم الحج الأكبر ، ويوم عيد الأضحى يوم الفداء العظيم لاسماعيل أو اسحاق ، وليلة القدر ليلة أنزل فيها القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وشهر رجب من الأشهر الحرم المعظمة فى الجاهلية والاسلام ، وشهر رمضان شهر فرض الله صيامه لأنه شهر القرآن أما شهر شعبان فما هو بالشهر الحرام وما هو بالشهر الذى نزل فيه القرآن ولكن الرسول ﷺ كرمه فكان يصوم منه أكثر مما يصوم من غيره من الشهور بل كان

(يطلع الله عز وجل إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا اثنين مشاحن وقاتل نفس) رواه الامام احمد .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت (قام رسول الله ﷺ من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك فرجعت فسمعته يقول فى سجوده أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك إليك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال ياعائشة أو ياحميراء أظننت أن النبى قد خاس (١) بك قلت لا والله يارسول الله ولكنى ظننت أنك قبضت لطول سجودك فقال أتدرين أية ليلة هذه قلت الله ورسوله أعلم قال هذه ليلة النصف من شعبان إن الله يطلع على عباده فى ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم) رواه البيهقى من طريق العلاء بن الحارث وقال حديث مرسل جيد

ولا شك أن الحديث المرسل حجة عند بعض الأئمة فى الاستدلال على الأحكام بله فضائل الأعمال . من هذه الأحاديث يتبين أن لهذه الليلة فضلا عظيما فان الله يتجلى فيها على جميع خلقه بالقبول والرضوان والرحمة والغفران إلا أصنافا من أهل الكبائر لم يتوبوا فانه يحرمهم فيضه وفضله .

وفى حديث عائشة ما يدل على أن الرسول ﷺ أحيا ليلة النصف من شعبان بصلاة أطال فيها السجود ودعا فى سجوده بما أوحت إليه ذات نفسه ودعت إليه حاجته فلما فرغ من صلاته وجه نظر عائشة إلى فضل هذه الليلة فى صورة تستدعى الانتباه والاهتمام وتعلن عن مزيتها ومكانتها وفى ذكر المستغفرين والمسترحمين ما يغرى بطلب المغفرة والرحمة فى هذه الليلة

ولقد اعتاد الناس منذ قرون أن يجتمعوا عند غروب الشمس فى هذه الليلة

---

(١) اى غدر

لصلاة المغرب ثم ركعات من النوافل وقراءة سورة من القرآن الكريم بنية خاصة ثم يدعون بالدعاء المشهور (اللهم ياذا المن ولا يمن عليه الخ)

ويرى فريق من العلماء فى هذا الاجتماع وهذه الأعمال ابتداعا آثما يرمون فاعليه بالضلالة بل ربما فوق الضلالة ويقولون إنه لم يرد فى فضل هذه الليلة ما يصح الاستناد عليه

ويرى فريق آخر أن كل هذه الأعمال مشروعة متخذين من تأويل بعض الآيات القرآنية سندا فيقولون إنها الليلة المباركة التى يفرق فيها كل أمر حكيم ويرمون الفريق الأول بأنهم قوم متنطعون منفرون من الطاعة والعبادة

وتدور بين المعسكرين مساجلات زهدت الناس فى هذه الليلة فأعرض كثير منهم عن عمل الطاعات فيها

وخير ما يأخذ به الواعظ نفسه فى هذا السجال أن يكون فى جانب الحق وأن يجهر به ليقف الناس على جلية الأمر فى شأن من شئون دينهم فلا يكون فى جانب الافراط أو التفريط

ونستطيع أن نقول فى صراحة الحق إنه لم يؤثر عن رسول الله ولا عن أصحابه أنهم اجتمعوا بالمساجد فى ليلة النصف من شعبان فصلوا وقرءوا ودعوا بما عليه الناس اليوم .

وانما المأثور أن لهذه الليلة فضلا وأن الرسول ﷺ قام فيها فصلى منفردا ودعا بما ألهمه الله .

أما اجتماع الناس فى المساجد للتعاون على أعمال الخير من صلاة وصدقة ودعاء بما تمس إليه حاجتهم وتدعو إليه ضرورتهم فليس فيه من بأس وكم رأينا من عصاة آوتهم المساجد فى هذه الليلة فتابوا وأنابوا وصلحت سريرتهم وحسنت سيرتهم

ولا يضيرنا أن الاجتماع فيها لم يكن معروفا فى صدر الاسلام فاننا لا نعجز أن نرجعه إلى قاعدة من قواعد الشريعة أو نص عام أو قياس فان الاجتماع لصلاة التراويح لم يكن معهودا فى زمن الرسول ﷺ بل نهى عنه خشية أن

م — ٢

تفرض على الناس فكانت تؤدى فرادى فى عهده وعهد أبى بكر ولكن عمر رأى أن يجمع الناس عليها فى المساجد رجالا ونساء فأقيمت جماعة ومضى عليه العمل إلى اليوم .

وإنما الذى يضيرنا أن نعتقد غير الحق أو نضفى على الأعمال صفة غير صحيحة أو نسمى الأشياء بغير أسمائها فندعى أن المعصية طاعة أو الطاعة معصية

وخير للمرشدين أن يبينوا للناس الحقائق سافرة دون تعصب لقديم أو جديد ولا يصرفوا الناس عن الطاعة ولهم مندوحة فيها ولا يمنعوهم عن عمل غير مجمع على انكاره فقد باعدت المدنية الخادعة بين الناس وبين كثير من الفرائض والواجبات وحالت بينهم وبين الطاعات والعبادات

وليت الناس إذا صرفناهم عن الاجتماع بالمساجد فى هذه الليلة ينصرفون إلى منازلهم فيقومون بما قام به رسول الله ﷺ ولا ينصرفون إلى الملاهى والمقاهى

بقى أن نتكلم عن الحديث الذى رواه على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن النبى ﷺ أنه قال (إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله تبارك وتعالى ينزل فيها الخ)

فقد قال صاحب الابداع فى مضار الابتداع إن هذا الحديث قيل بضعفه وقيل بوضعه وقيل بحسنه وعندى أن حديث عائشة المرسل فيه ما يدل على فضل قيام هذه الليلة فلسنا فى حاجة إلى حديث قيل بوضعه

أما صيام نهارها فمشروع لأنه يوم من أيام شعبان وقد كان الرسول ﷺ يصوم شعبان كله أو إلا قليلا وليس يوم نصف شعبان من نصفه الثانى حتى يقال إن الرسول نهى عن صومه فيما روى الترمذى بسند حسن عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال (إذا بقى نصف من شعبان فلا تصوموا)

ولعلى وفقت فيما هدفت إليه من جمع الناس على الحق فى مسألة آثار الاختلاف فيها الفتن والبغضاء بين المسلمين فى بيوت الله وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

جاد المولى سليمان

مفتش المساجد

أسرار الشريعة

(٢) دستور الاسلام فى بناء الاسرة

الخطبة وكيف تكون ؟

ألحت الشريعة الاسلامية فى الزواج وتكوين الأسرة كما أشرنا فى مقالنا السابق — لأثر ذلك فى حياة الأمة وأخلاقها ولم تدع الشريعة أمر الزواج لمحض المصادفة وخالص الرأى وإنما وضعت له أمتن الأسس وأرسخ القواعد وأرشدت إلى الوسائل التى تكفل لهذه الرابطة المقدسة استقرارها ودوامها وتوصل إلى الثمرات المرجوة منها .

أرشدت الشريعة راغب الزواج إلى ضرورة تخير الزوجة من الأسر المتدينة ذات الأخلاق الفاضلة والأعراق الكريمة ، وجعلت لهذا المعنى الاعتبار الأول فى اختيار الزوجات . وجعلت غيره من المال والجمال والحب فى المقام الثانى ، ولفتت النظر إلى خطورة اعتبار الجمال دون أن يكمله الدين والخلق والى اعتبار المال دون غيره من صفات الكمال، وفى الحديث : تنكح المرأة لأربع لحسبها ولمالها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك ، وفى الحديث تخيروا لنطفكم فان العرق دساس ، وفى الأثر : إياكم وخضراء الدمن قالوا : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الجميلة فى المنبت السوء وفى الحديث : لاتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، فلأمة خرقاء سوداء ذات دين أفضل . وإنما كان للدين الاعتبار الأول فى تخير الزوجات لأنه صمام الأمن ورائد السعادة والدين إذا كان رقيب الزوجة فى تصرفاتها لم يصدر عنها إلا ما يرتضيه الزوج

من الأقوال والأعمال ، ولا يقع نظر الزوج منها فى نفسها إلا على كل كريم فتظلل الأسرة روح المودة والصفاء ويستمسك بينهما حبل الوفاء والوئام . وهناك أمور أخرى ينبغى لمريد الزواج أن يلاحظها تدعو إليها الفطرة والمروءة فينبغى له أن يختارها بكراً مغلقة الفكر والقلب لم تمارس رجلا قبله قد تسمو خصائصه فتنغص خاطره وحياته بالمذاكرة والمقارنة ، وأن يختارها خصبة ولوداً يرجى منها غاية ما يرجى فى الحياة وتقصده الشريعة والطبيعة من الزواج وهو النسل والأولاد ، وأن يختارها من مستواه حتى لا تطاوله بالمفاخره بالأحساب والأنساب ومن طريف ما أرشد إليه بعض العلماء فى اختيار الزوجات : أنه ينبغى لمريد الزواج — إن كان شيخا — أن يتجنب الفتيات وينبغى للزوج ألا يسكن بزوجه فى دار أهلها احتفاظا بكرامته وحريته .

هذا وهناك اعتبارات أخرى ينبغى ملاحظتها فى اختيار الزوجات توحى بها ظروف العرف والزمان لا يمكن حصرها فى بيان .

وقد أجاد العلامة المرداوى صاحب منظومة الآداب إذ جمع مايجب ملاحظته فى اختيار الزوجة فقال :

ولا تنكحن ان كنت شيخا فتية	تعش فى ضرار العيش أو ترض بالردى
ولا تنكحن من تسم فوقك رتبة	تكن أبدا فى حكمها فى تنكد
ولا ترغبن فى مالها وأثاثها	إذا كنت ذا فقر تذل وتضهد
ولا تسكنن فى دارها عند أهلها	تسمع إذن أنواع من معدد
فلا خير فيمن كان فى فضل عرسه	يروح على هون إليها ويغتدى
وإياك يا هذا وروضة دمنة	سترجع عن قرب إلى أصلها الردى

* * *

ولما كانت رابطة الزواج رابطة كريمة لغايات كريمة وكانت شركة طويلة الأجل تأبى العقول السليمة والطباع الكريمة وتكره الشرائع فسخها وفصم عروتها

حرصت الشريعة الإسلامية على توفير أسباب الاطمئنان لكل من الشريكين فخولت لكل منهما أن يتعرف إلى الآخر فى حدود الكرامة والمروءة وفى نطاق تؤمن عاقبته وتحمد مغبته فأباحت للزوج أن ينظر إلى وجه مخطوبته وكفها فى حضرة محرم منها واقتصرت على هذا القدر من التعارف لكفايته فى اطمئنان كل منهما إلى الآخر فالوجه دليل الجمال وبالكف تعرف خصوبة الجسم وبدانته ، وجعلت من وسائل التعارف والاطمئنان أيضا أن يرسل الزوج إلى مخطوبته من يثق به من أم وأخت ويستوصفه إياها إن لم تتيسر له رؤيتها ، وفى هذا التعدد فى الوسائل تقدير من الشريعة السمحة لطباع بعض الناس فى هذا الشأن ، فقد يصعب على بعض النفوس أن يبيح لابنته أن تجتمع برجل لما تتوثق بينهما آصرة من الرحم والقربى والزواج وفى الحديث : ان المغيرة خطب امرأة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : أنظر إليها فأنه أحرى أن يؤدم بينكما ، أى أحق أن تجتمعا على ما فيه صلاح أمركما — وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث أم سليم إلى امرأة وقال أنظرى عرقوبيها وشمى عوارضها والعرقوب عظم مؤخر القدم والعوارض الأسنان المعترضة فى الفم .

وكما خولت الشريعة للرجل أن يتخير من النساء زوجه وأن يلتمس الحسن الجميل منهن كذلك خولت المرأة هذا الحق وأبت على وليها أن يكرهها على من لا تستحسن .

وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال . يعمد أحدكم إلى ابنته فيزوجها القبيح الدميم ، انهن يردن ما تريدون .

وعن عائشة رضى الله عنها : أن فتاة قالت للنبى صلى الله عليه وسلم : إن أبى زوجنى من إبن أخيه يرفع بى خسيسته وأنا كارهة فأرسل النبى إلى أبيها فجعل الأمر إليها فقالت يارسول الله : إنى أجزت ما صنع أبى ولكنى أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شىء .

وعن عمر بن الخطاب قال : لاتنكحوا المرأة القبيح الدميمة فأنهن يحببن لأنفسهن ما تحبون لانفسكم . وقال ابن الجوزى: وأستحب لمن أراد تزويج ابنته أن ينظر لها شابا مستحسن الصورة لأن المرأة تحب ما يحب الرجل .

وقد يقول قائل : ان القدر الذى أرشدت إليه الشريعة غير كاف فى تعرف الزوجين وإن صح أن يكون وسيلة إلى تعرف جمال الجسم فانه يقصر عن أن يكون وسيلة إلى تعرف كمال الخلق ، وقد أشار بعض العلماء إلى الجواب عن هذا فقال ان كمال الخلق إنما يعرف من دراسة البيئة والوسط الذى تعيش فيه المخطوبة . وقاعدة أثر الوسط والبيئة فى تكوين الشخص أصبحت مسلمة عند علماء النفس والاجتماع ولا عبرة بشذوذ بعض الأفراد منها .

وأما ما يهرف به بعض المتحذلقين من أنه لابد فى التعارف من مخالطة كاملة لمدة طويلة فى حرية واستقلال لتتجلى أخلاق الخطيبين على حقيقتها فانما هو قول من أفسد التقليد طبعه حتى تبلد جسمه وجمد دمه وخرس عما يسمع وعمى عما يقرأ وينظر فلا يدرى ما جرته هذه المخالطة على الأسر الكريمة من مخاز ومآس وما أثمرت من ثمرات مرة ذهبت بأحلام بعض الناس وأودت بحياتهم .

وليحدثنا هذا الزاعم كيف يكون موقف الفتاة إذا لم ترق فى نظر الفتى وانصرف عنها بعد أن بلاها وبلته ؟ وماذا يكون مستقبلها ومستقبل أسرتها ؟ومن هو الذى يطالب يدها ويفكر فى خطبتها بعد ذلك ؟

انه لاشك سيكون مستقبلا عابسا مظلما ليس فيه من بصيص الأمل رجاء .

ألا إن فى القدر الذى سمحت به الشريعة للتعارف بين الزوجين الكفاية وفيه مع الوصول إلى القصد صيانة الشرف والسمعة والكرامة واحتياط لمستقبل الفتاة واحتفاظ بكرامة الأسرة .

أبو الوفا المراغى

الدعوة الاسلامية

المسجد
مهد الدعوة الاسلامية

من حق القراء على مجلة (منبر الإسلام) أن تحدثهم عن المسجد ، لا لأن المسجد يدخل فى دائرة اختصاصها وحسب بل لأن المسجد نور الإسلام ومناره، ومهد التوحيد وشعاره ، ولم أر أحدا من الكاتبين فى عيد ميلاد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم تعرض للحديث عن المسجد وأثره فى بناء صرح الإسلام الخالد ، وقد اقتطف كل منهم من روضة النبي الفيحاء زهرة ، وقدمها تحية عيد الميلاد فى موكب الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وهأنذا بدورى أقدم أكبر من زهرة ، حين أتحدث عن المسجد ، فأطل على الماضى المشرق ، لأرى الرسول صلى الله عليه وسلم فى أثناء هجرته ، يعنى أول مايعنى بالمسجد ، فيبنى مسجد « قباء » الذى يقول الله فيه : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين » وما أن يهبط المدينة المنورة ، حتى يسارع إلى بناء المسجد النبوى ويعمل فى بنائه بنفسه ، ويتمثل بشعر أحد المؤمنين وهو ينقل الحجارة ، ليحفز همم أصحابه إلى الدعامة الأولى التى عليها يقوم مجد الإسلام ، فكان يقول :

اللهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

فجعل الأنصار والمهاجرون يرتجزون هم أيضا ويعملون فى بناء الحرم النبوى الشريف بجد واهتمام ، وهم يقولون :

لئن قعدنا والرسول يعمل لذاك منا العمل المضلل

ترى لماذا يلقى صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم هذه الدروس العملية على أمته فى بناء المساجد وعمارتها ، فلا يكتفى بالارشاد والتوجيه كمثل قوله « من بنى لله مسجدا

يذكر فيه ولو كمفحص قطاة ، بنى الله له بيتا فى الجنة » بل يعمل و يبنى بيده الكريمة ، ذلك ليلفتنا إلى العمل الأول إلى المسجد وتشييده وإعداده ، إلى رمز التوحيد ومناره ، إلى البيت الذى اختاره الله لنفسه ، إلى « بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال ، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة » إلى مكان القداسة والسجود والعبادة لله وحده « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » .

إلى المسجد جامعة الاسلام العليا ، إلى النور إلى العلم ، إلى القبلة ، إلى المنبر ، إلى الجمعة والجماعات إلى الخطبة التى هى درس الأسبوع للمسلمين ، إلى المثل العليا كلها — كل أولئك بعض آثار المسجد فلم لايكون هو الأساس الأول ، الذى يجب على المسلمين أن يبنوا عليه مجدهم وعزهم ، وسعادتهم فى الدنيا والآخرة إذن فإلى المسجد نتفيأ ظلاله ، ونجنى ثماره ، ويجمل بنا قبل أن نمشى إليه أن نأخذ أنفسنا بما أدبنا الله به نحو بيته ، فلنأخذ زينتنا امتثالا للأمر الكريم « خذوا زينتكم عند كل مسجد » وأدبتنا السنة المطهرة ، بأن هذه الزينة لاتكون بلبس أحسن الثياب وحسب ، بل لابد أن تكون زينة كاملة بالاغتسال والطيب يوم الجمعة ، وإذا كنا نأخذ زينتنا عند ما ندعى لمقابلة الناس الكبار فكيف لانأخذها عند ما نلبى دعوة ملك الملوك فى بيته واستمع لهذه الدعوة الكريمة أولا لندخل المسجد على نور يقول الله جلت حكمته (يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله)

وجمهور المفسرين على أن المراد بذكر الله فى الآية — الخطبة — التى تذكر المصلين بالله وتجدد إيمانهم بالله وتعلمهم مالهم وما عليهم من حقوق وواجبات .

الخطبة درس الأسبوع ، الذى يجب أن يتيقظ له وعى المسلم ويعمل بما فيه ، حتى تأتيه التعليمات من هدى المنبر فى الجمعة التالية ، فمن خطيب المنبر وإمام الصلاة تتلقى الأمة هذا الهدى ،وأستاذ المنبر أكبر أستاذ لأنه أولا يمثل الرسول وخلفاءه

وورثته فى أستاذية المنبر فجامعته أكبر جامعة فى الوجود ، وتلاميذه الأمة كلها فالكل باسم الاسلام مدعو لهذه الصلاة الجامعة ، والكل مأمور بأن يتأدب بأدب الاسلام فى تقديس هذه الدعوة وتقديرها حق قدرها ، فمرغب إليه أن يبكر ليأخذ مكانه فى الصف الأول ، وإذا أخذ مكانه فى الصف الأول فقد استحقه بالمسارعة إلى إجابة الدعوة ، فهو ممعن فى الطاعة وحريص على إحراز فضيلة السبق ، فى هذا المقام الذى يتنافس فيه المتنافسون ، والمكان لمن سبق ، فليس لأحد أن يقول له تأخر عن مكانك ، ليجلس فيه على مائدة ملك الملوك غيرك ولو كان ذا شأن فى دنيا الناس فهنا وهناك فقط فى المسجد تتضاءل الألقاب والأحساب وتتحطم الفوارق الدنيوية ، وتتجلى المساواة بأجلى مظاهرها ، عبيد فى بيت سيدهم ومولاهم أكرمهم عند الله أتقاهم ، إخوة فى الله إخوة فى العقيدة، إخوة فى الاتجاه قلوب متجهة اتجاها واحدا ، قبلتهم الكعبة أول بيت وضعه الله للناس ، فإلى من جعله الله منارا وهدى للعالمين ، إلى ربهم الواحد ، تتحد القلوب فى القصد إليه ، والاستعانة به ، والاستزادة من فضله : ويحس كل مسلم وهو فى ضيافة الله فى المسجد ، إحساس سالم بن عبد الله بن عمر ، حين قال له هشام بن عبد الملك وقد حج فى بعض السنين فوجده جالسا فى الحرم ، قال له : ياسالم سلنى حاجة أقضيها لك فقال له : إنى لأستحى من الله أن أطلب غيره فى بيته فتعجب هشام وانتظره حتى خرج من الحرم وقال له الآن أنت خارج بيت الله فسلنى حاجة ، فقال له من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ! ! فقال هشام بل من حوائج الدنيا فقال سالم : إذا كنت لا أطلب الدنيا ممن يملكها فكيف أطلبها ممن لا يملكها »

نريد أن تسمو روحنا ونحن فى حضرة الله فى بيته خاصة ، فلا نفكر إلا فيه، ولا نرغب إلا إليه ، ولا نعتز إلا به ، ولا نذل إلا له ، ثم علينا بعد ذلك ، أن ننصت إلى الخطبة درس الأسبوع ، الخطبة التى دعينا لأجل سماعها تعالج أمراضنا الاجتماعية ومشاكلنا الداخلية والخارجية ، بما عالجها به أحكم الحاكمين فى أكمل شريعة وأتم نظام .

فالمنبر يصدر عن الكتاب والسنة فيرد إلى الله والرسول كل شيء ، ومن ثم كان مكان المنبر فى الإسلام ، وفى المسجد مكان الصدارة ، فهدى المنبر هو الهدى الحق ، وهو فى حكمة الاسلام الحارس على الدعوة إلى الحق، فيجب أن نختار له ، وأن يحاط له بكثير من التقدير حتى يؤدى رسالته على ما ينبغى وعلى كل مصل كبيرا أو صغيرا أن يعى درس الأسبوع جيدا من خطيب المنبر ، ويعلمه بدوره لأولاده وأسرته فى المنزل ، فالرجل راع على أهل بيته وهو مسئول

ومن ثم لا يبقى فى الأمة الاسلامية جاهل بدينه ، أو بواجبه الذى يفرضه عليه الدين عند ما تجد أحداث أو فتن فى الوطن الاسلامى ، الذى لا يعرف حدودا ولا أجناسا ، ولا ألوانا ، وإنما هو وحدة فى العقيدة ووحدة فى الحب والأخوة والهدف ، والوسيلة .

وتصور معى أيها القارىء الكريم ، إذا كانت خطبة الجمعة موحدة ، ووصلنا إلى غاية تمكننا من أن يكون لسان المنبر ، فى كل جمعة واحدا فى جميع مساجدنا، فتتلقى الأمة كلها تعاليم الإسلام ، وأغراض المسلمين وواجباتهم فى ساعة واحدة، دعوة ودعاية ، لو أنفقت فى سبيل الحصول عليها أجهزة العلم الحديث واللاسلكى ماوصلت إلى هذه النتيجة الباهرة ، من دعاية المنبر ودعوته ، ورعاية الله له وحياطته ، وما يؤديه للإسلام والمسلمين من خدمة جعلته فى المسجد ملحوظا بالصدارة ، ثم تقام الصلاة ، فتتساوى الرؤوس ، وتتكاتف الصفوف ، كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، حتى إنك لاتجد بين الصفوف فرجة يدخل منها الشيطان إلى هذه الصفوف الخاشعة فى الصلاة ، لاتتحرك إلا بحركات — الامام — وهو واحد أيضا، فلا يسمح لأحد بأن يسبقه بركوع ولا بسجود فى عبادة شاكرة ذاكرة هدفها اتحاد القلوب فى وحدة المعبود ، والصمود إليه سبحانه — فمثل الامام فى الصلاة كمثل القائد فى الجيش ، شعاره ، فى الاسلام التكتل والاتجاه ، والطاعة والنظام ، « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان

مرصوص » فكل أعمال الاسلام ، يجرى فى عروقها إكسير الوحدة والتعاون على البر والتقوى ، ومن هنا أدرك العلماء سر قوله تعالى « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » ففى ساحة المسجد بعد الصلاة ، نتعرف على بعضنا - فنؤدى الزكاة لمستحقيها من المصلين بين صفوفنا وإخوتنا الذين هم منا وعلينا ، ونتعاون على البر والتقوى فنفضل التعامل بيننا على معاملة الأجنبي عنا وهكذا — وفى المسجد نتلق دروس العلم والدين والوعظ والارشاد بكرة وعشيا ، وقد كان نصيب المرأة المسلمة فى السنين الأخيرة من الثقافة الدينية وافرا بفضل المساجد ، والقائمين عليها ، ولولا المساجد ، فى القديم والحديث ، لما بقى الاسلام هو الدين العام الخالد ، ولما ازدهرت العلوم والمعارف الاسلامية ، هذا الازدهار الملحوظ منذ كان يجلس النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجده ، يستقبل الوفود ، ويجيب السائل ، ويعلم العلم والقرآن إلى وقتنا هذا ، ويطول بى الحديث — لو استعرضت صورا من مجالس الإمام مالك فى المسجد النبوى فى عهد الرشيد ، أو سعيد بن المسيب ، أو مجالس العلماء فى الجامع الأموى ببغداد ، أيام كانت الدولة للعلم والعلماء ، فكان المسجد هو الجامع والجامعة وهو المعقد والرجاء ، فالقلوب معلقة به ، ولا تصدر إلا عن وحيه وحبه ، ومن ذروة منبره تأخذ أقوم الدروس وأبلغها ، وانظر إلى الجلال الذى خص الله به المسجد ، فجعل كلمة الحق يدوى بها صوت المؤذن على منارته فى كل وقت صلاة ، الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله » فتنطلق أمواج الأثير صاعدة إلى ماشاء الله تذكر الغافل ، وتحبب العبد الآبق فى رحمة الله حين يدعوه حى على الصلاة حى على الفلاح .

وبعد : فما قصدت أن استوعب بهذا الحديث مآثر المسجد وعظمته فهذا مما يطول فى حلاوة شرحه ، ولا يتسع له هذا المجال المحدود .

سيد حسين الشقرا
واعظ طنطا

محمد ﷺ
والدين الاسلامى فى نظر الغربيين

تناول كثير من المستشرقين والكتاب الأوروبيين الدين الإسلامى فى كتاباتهم ولكن الحقيقة أن من انصف فى وصفه منهم عدد قليل .

غير أن الحق مع ذلك وجد طريقه على بعض الألسنة الأجنبية عن الاسلام .

فمما كتبه « أوز والد ويرث » الكاتب الانجليزى قوله « تبينت يوما أنى مسلم بدون أن أشعر » .

وكتبت المجلة الإسلامية " Islamic Magazine " التى يصدرها اللورد هدلى المسلم باللغة الانجليزية تحت عنوان « لماذا أصبح الانجليز وغيرهم من الأوروبيين مسلمين ؟ » ما يمكن تلخيصه فيما يلى :

« إن الذين اهتدوا منهم إلى اعتناق الإسلام كانوا يتلمسون عقيدة سهلة معقولة عملية فى جوهرها — لأننا معشر الانجليز ندعى أننا أكثر أهل الأرض تمسكا وتشبثاً بالشئون العملية — عقيدة تكون ملائمة لأحوال جميع الشعوب وعاداتهم وأعمالهم ، عقيدة دينية صحيحة يقف بها المخلوق أمام الخالق من غير أن يكون بينهما وسيط » .

وقال مستر آرنولد الكاتب الانجليزى « إن محمداً — عليه الصلاة والسلام — لم يستعن بالسيف بقدر ما استعانت المسيحية بالنار والمال ، وإن خرافة السيف التى يذيعها رجال المسيحية ويرمون بها رسول الله لا أصل لها من الصحة على الاطلاق ، لأن النظام الذى جرى عليه الإسلام والحكمة العامة التى جاء بها القرآن تدوران حول تعويد بنى الإسلام السلام والصلاح » .

وقال مستر جون دى فونوبرت فى كتابه « اعتذار إلى محمد والإسلام Apology to Mohammed and Islam : إن الرسول — صلوات الله

وسلامه عليه — حرم سفك الدماء وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقر المساواة واستنكر الاستبداد ومنح الإنسان حقوقه المدنية، فلتتذكر أوربا أنها مدينة بالفضل لهذا الرجل ! »

وقال مستر جون فى موضع آخر من كتابه « ان محمداً — عليه الصلاة والسلام — من أكبر مريدى الخير للانسانية فإذا حق لآسيا أن تفخر بأبنائها فيحق لها أن تفخر بهذا الرجل الفريد العظيم كل الفخر ! » .

وتناول توماس كارليل الفيلسوف الانجليزى المعروف فى كتابه تاريخ الأبطال وعبادة البطولة Heroes, Hereworship and Heroic in History تاريخ النبى محمد — عليه الصلاة والسلام — بالعرض والتحليل المنطق بأسلوب قلما يرد على لسان غير مسلم ومن أبدع ما كتب ذلك الانجليزى ما يلى : « لسنا نعد محمداً هذا رجلا كاذباً متصنعاً يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغية أو يطمح إلى ملك أو غير ذلك من الأمور المادية الحقيرة وما الرسالة التى أداها إلا حق صراح وما كلمته إلا صوت صادق صادر من العالم المجهول » .

« تربى محمد فى بيت عمه « أبو طالب » كأحسن ما يربى العرب حينئذ فنشأ نشأة طيبة فى بيت من بيوت المجد العربى وكان يثير الدهشة والاعجاب، ويجب ألا يغيب عنا أنه لم يتلق دروساً على يد أستاذ أبداً وكانت صناعة الخط حديثة العهد إذ ذاك فى بلاد العرب ومن ذلك تبدو الحقيقة واضحة أن محمداً لم يكن يعرف الخط والقراءة وكل ما تعلم هو المعيشة فى الصحراء بتجاربها وكل ما أمكنه أن يعرف من هذا المكان الضحل هو ما أمكنه أن يشاهد بعينيه ويتلقى بفؤاده من هذا السكون العديم النهاية وعجيب — وأيم الله — أمية محمد، نعم انه لم يعرف من العالم ولا من علومه إلا ما تيسر له أن يبصره بنفسه أو يصل إلى سمعه فى ظلمات صحراء العرب، ولم يضره بل ولم يزر به أنه لم يتعلم علوم العالم لا قديمها ولا حديثها لأنه كان بنفسه غنياً عن كل ذلك، وقد نشأ وعاش وحده فى أحشاء الصحراء ونما هنالك وحده بين الطبيعة والأقطار . »

« إذا أخذنا هذا فى تقديرنا وعلمنا أن الاشعاع النبوى انعكس على هذه الصحراء فأحالها إلى بقعة غنية بالعلم لم يتح لغيرها فى مكان ما فى العالم فى ذلك الوقت وأن الحكمة التى تفجرت من ينابيع هذه النفس السامية تجعل الانسان يقف حائراً مشدوها من الاعجاب اللانهائى الصادر من أعماق نفس الانسان أمام ذلك الرسول العظيم معترفاً ومقرا بأنه من أكبر العار على أى فرد متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب وأن محمدا خداع مزور . . . حاشا وحاشا » .

« ولوحظ عليه — صلى الله عليه وسلم — منذ بدء دخوله فى سن الشباب أنه كان شاباً قوى التفكير عرف بين قومه ورفقائه بمحمد الأمين — رجل الصدق والوفاء — الصدق فى أقواله وفى أفعاله وفى أفكاره ولوحظ عليه أن ما من كلمة تصدر عنه إلا وفيها حكمة بليغة ، وعرف عنه أنه كان كثير الصمت يسكت حيث لا مدعى للحديث فإذا ما نطق فما شئت من حكمة تتفجر ، لا يتناول غرضا فيتركه إلا وقد أنار شبهته وأبان حجته وما مثل هذا ينطق عن الهوى ! » .

« وما قصته مع خديجة — عليها السلام — إلا قصة واضحة: سافر فى تجارات لها إلى أسواق الشام فكان عمله معها من أقوم مناهج العمل والأمانة مما جعل شكرها له يزداد وحبها ينمو ولما تزوجها كانت فى الأربعين وهو لم يتجاوز الخمسة والعشرين عاما ، ولقد عاش مع زوجه هذه على وفاق تام وصفاء وإخلاص وفى هذا رد على من يقول إنه لم يكن صادقا فى رسالته بل كان ملفقا ومزورا إذ لو كان كما يدعون — وسفه ما يقولون — أن السن بين الخامسة والعشرين والأربعين هى سن الشباب وهى التى يطمع فيها من يجرى وراء ذكر وشهرة أو جاه وسلطان ، ولكن محمداً عاش فى عنفوان شبابه وحرارة صباه معيشة من أهدأ ما يمكن أن تكون سادها الاطمئنان ، وكان حسبه من الذكر والشهرة حسن آراء جيرانه فيه ، وهكذا قضى شبابه إلى أن توفيت السيدة خديجة » .

وتناول كارليل بعد ذلك البيئة والظروف فى البلاد العربية وكيف أنها كانت تستلزم وقوع « نقطة التحول » وعرض لموقفه — صلى الله عليه وسلم — من

عبادة قومه للأصنام فكتب يقول « كأن الرسول يقول فى نفسه : هذه الأوثان التى يعبدها القوم لابد من أن يكون وراءها ودونها شىء ما هى إلا رمز له وإشارة إليه ، وإلا فهى مين وخداع وباطل وزور وقطع من الخشب لا تغنى ولا تسمن من جوع ، انه فى وادوهم فى واد آخر ، هم يعمهون فى ضلالهم ويسدرون فى غيهم » .

واسترسل كارليل عارضاً لنزول الوحى وانتشار الرسالة السماوية إلى أن قال : لقد قيل كثيراً فى شأن نشر محمد دينه بالسيف فإذا جعل الناس ذلك دليلا على كذبه فلشد ما أخطأوا وظلموا ، فهم يقولون ما كان الدين لينتشر لولا السيف ولكن ما الذى استدعى وجود السيف ؟ هو قوة هذا الدين وإنه دين حق وأرى أن الحق ينشر نفسه بأية طريقة حسبما تقتضيه الحال أو لم تروا أيها الظالمون أن النصرانية كانت لا تأنف من أن تستخدم السيف أحيانا ، وحسبكم ما فعل شارلمان بقبائل السكسون وأعتقد أنه لا يجب أن أحفل أكان انتشار الحق بالسيف أم باللسان أم بأية آلة أخرى ، فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار لندعها تكافح وتنشر رسالتها بالطريقة التى تجلب الخير والرفاهية والسلام لهذه الانسانية » .

كما استشهد توماس كارليل فى كتابه بما جاء على لسان « جوته » الكاتب الشاعر الألمانى المعروف قائلا « إذا كان هذا هو الاسلام أفلا نعيش نحن جميعا فى كنفه ما دام هو الغاية القصوى لما يأمله من يعيش فى هذه الحياة الأولى » .

وكتب الدكتور ريتسن الأستاذ فى جامعة برمنجهام موجها الخطاب إلى رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم .

« يا مخلص العالم من ذل العبودية ، يا من وفقت بين قلوب البشر وجعلت الاخلاص شعارك ، إن العالم ليفتخر بك ، يا من قلت إنما الأعمال بالنيات لك منا الشكر الجزيل » .

وقال ديزيه المؤرخ الفرنسى رغم تحيزه للمسيحيين عند عرضه للفتح الإسلامى فى الأندلس وأعتقد أنه اضطر أن يعترف بذلك بالرغم منه قال : « إن جل المسيحيين فى اسبانيا دخلوا فى الإسلام اقتناعا منهم بصحته ! »

عبد الفتاح الوشاحى
بوزارة الأوقاف

من رياض السيرة

يوم الرجيع (١)

مثل رائع لشهداء الاسلام

للاسلام شهداء شروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله ، وبذلوا أرواحهم فداء عقيدتهم لاتروعهم رهبة الموت ، ولا تخدعهم بهرجة الحياة ، ولا ترتفع دماؤهم فى موازين تفكيرهم وتقديرهم عن أن تكون سائلا يخضب أرض الشرك بلونه القانى حتى يستقر فى أرجائها الايمان ، وتنتشر فى نواحيها شرائع القرآن .

للاسلام شهداء حقا ولكنى أعتقد أنهم متفاوتون بقدر ماهم عليه من الاخلاص لعقيدتهم ، والتفانى فى حب رسولهم ، والنكوص عن مواقف المذلة والهوان ، وبين هؤلاء الشهداء أعلام سموا إلى مرتبة لايتطاول إليها متطاول ، وفى سجل الشهادة مثل رائعة تحرك حقائق الاسلام فى القلوب الميتة ، وتثير عناصر القوة فى الأجسام الهامدة ، وتبرز أعمق الأحاسيس لدى الألباب الغافلة ، وهذه هى مثل الخلود وأصحابها هم الخالدون .

ليس بغريب أن يعد يوم الرجيع من أيام الله ، ويخلد رجاله بين الأحياء من شهداء الاسلام ، وليس بغريب كذلك أن تبرز فيه كل صغائر الانسان المشرك الذى عمى عن الهدى ، واستمرأ البغى ، ووقع فى الضلالات من غير مارعى لعهد أو حفاظ على ميثاق ، أو استشعار لمعانى الانسانية .

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رهط من قبيلة تجاور قبيلة هذيل قالوا له: إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا فى الدين ، ويقرءوننا

(١) الرجيع ماء لهذيل بناحية الحجاز

القرآن ، ويعلمو ننا شرائع الاسلام» فبعث معهم النبي ستة من أصحابه على رأسهم مرثد بن أبي مرثد الغنوى وخرج القوم حتى اذا كانوا على الرجيع وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز غدروا بهم واستصرخوا هذيلا فلم يرع القوم وهم فى رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم فاخذ المسلمون أسيافهم ليقاتلوا

حقيق بنا أن نقف هنا قليلا . بل أن نطيل الوقوف والتأمل والاعتبار . فليس وقوفنا إلا على حافة ميدان الشهادة ، وليس تأملنا إلا فى موقف هؤلاء الرجال وقد حملوا السيوف لا ليردوا الباغين عليهم بل لينافحوا عن القرآن وهديه وشرائعه الحقة التى يراد القضاء عليها ، وليس اعتبارنا فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحريص على نشر دين الله أحسن الظن بهؤلاء البغاة فأجابهم إلى ما طلبوا ولكن العبرة البالغة فى أن تهوى الانسانية المشركة إلى هذا الدرك وتجتمع كثرة فى ديارها على قلة تحمل إليها مشعل الهداية والرشد .

قالت هذيل لأصحاب النبي مانريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم ، وقال ثلاثة منهم وهم مرثد بن أبي مرثد رئيس القوم وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت : والله لانقبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا وقاتلوا حتى قتلوا ، ورغب عن القتال عبد الله بن طارق وزيد بن الدثنة وخبيب بن عدى فاسلموا أنفسهم ووقعوا فى الأسر وخرج بهم القوم إلى مكة ليبيعوهم .

جدير بالباحث المنصف ألا يحمل رغبة هؤلاء الثلاثة عن القتال فرارا من الشهادة ، أو رضاء بالمذلة والهوان ، أو استمساكا باهداب الحياة فلعلهم قد رأوا فى تصرفهم هذا رأيا هو أوفى فى نظرهم بأداء المهمة التى عهد إليهم الرسول بها . إنهم قلة تفجأها كثرة غادرة فلا عليهم أن يحتالوا ، ولا عليهم أن يضنوا بأرواحهم لأنهم أجناد دين جديد لما يستقر له السلطان فى الأرض فان كانوا يرغبون فى الشهادة فيجب أن يكون استشهادهم عاملا من عوامل الذيوع لعقيدتهم والتمكين لدينهم ، وليس أدل على هذا مما فعل هؤلاء الثلاثة رضوان الله عليهم ، فقد أقدموا

على الشهادة حين تعذر عليهم تحقيق الهدف الذى رموا إليه ، وحين لم يجدوا فى طوقهم مايخدمون به دينهم ويؤدون رسالتهم على وجه يرضى الله ورسوله عنهم

لقد استشهدوا كما استشهد إخوانهم من قبلهم . أما عبد الله بن طارق فقد انتزع يده من غل الأسر وأخذ سيفه فرماه القوم بالحجارة حتى قتلوه ، وأما زيد ابن الدثنة فقد ابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف رأس الكفر الذى قتله بلال رضى الله عنه فى غزوة بدر الكبرى وقد أسلمه إلى مولاه نسطاس فقتله ، وأما خبيب بن عدى فقد حبس حتى انقضت الأشهر الحرم ثم قتلوه .

وإذا كان فى موقف مرثد بن أبى مرثد الغنوى وصاحبيه الذين آثروا الشهادة أول الأمر لأنهم أعلنوا أنهم لايقبلون من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا مايدل على إيمان حق وعقيدة صادقة وبذل فى ذات الله يستأهل أرفع منازل الشهداء فان فى موقف خبيب بن عدى وصاحبيه الذين لانوا وأسلموا أنفسهم من الروعة والبطولة والإخلاص للدعوة والداعى ما يستحق الإعجاب والاكبار والتقدير .

فقد حاول عبد الله بن طارق بعد الخلاص من الأسر أن يكر على القوم فأمطروه وابلا من الحجارة أورده مورد الشهادة .

وقدم للقتل زيد بن الدثنة فقال له سفيان بن حرب أنشدك الله يازيد . أتحب أن محمدا عندنا الآن فى مكانك تضرب عنقه وأنت فى أهلك . فقال زيد : والله ما أحب أن محمدا فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس فى أهلى » فعجب أبو سفيان وقال : مارأيت من الناس أحدا يحبه أصحابه ما يحب أصحاب محمد محمداً ثم قتل .

وخرجوا بخبيب بن عدى ليصلبوه فقال لهم : إن رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين ففعلوا فصلى ركعتين أتمهما وأحسنهما ثم قال للقوم : لولا أن تظنوا انى إنما طولت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة فلما أوثقوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة مايصنع بنا ثم قال : اللهم احصهم عددا ، واقتلهم

بددا ، ولا تغادر منهم أحدا ، فأخذت القوم الرجفة من صيحته ، واستلقوا إلى جنوبهم فرقا من أن تصيبهم دعوته ثم قتلوه .

كان طبيعيا أن يحزن النبي والمسلمون معه لما أصابهم . ذلك أنهم لم يكونوا طليعة لجيش يغير على ديار الباغين ، ولم يكن أسراهم أسرى حرب يخشونهم على أصنامهم وقوميتهم فيحملهم ذلك على ما حملوا عليه من أبشع أنواع الغدر ، وأحقر ألوان الجبن وفقدان الانسانية ، وكان طبيعيا أن تتحرك ألسنة المنافقين فى أفواههم تعلن عن شماتة بالغة قال ابن عباس رضى الله عنه : لما أصيبت السرية يوم الرجيع قال رجال من المنافقين : ياويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا لاهم قعدوا فى أهليهم ولاهم أدوا رسالة صاحبهم فأنزل الله تعالى فيهم « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام — الآيات » وأنزل الله فيما أصاب أولئك الشهداء من الخير « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد » وهل هناك أعظم من الذين يشرون أنفسهم من الله بالجهاد فى سبيله والقيام بحقه حتى يدركهم الموت فى عقر دارهم أو يتخطفهم الردى مرتحلين عن أهليهم وأولادهم .

بعث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى هذه البقعة من الأرض دعاة إلى توحيد الله ونبذ مايعبد من دونه ، وهداة إلى قوم أطبقت عليهم الجهالة وأحاطت بهم الظلمات ليستنقذوهم من جهالتهم ويخرجوهم من ظلماتهم ، وليزيدوا بهم موكب الموحدين الصادقين قوة ومنعة فوردوا مورد الموت على أيديهم وتخضبت بدمائهم رمال الصحراء .

فاذا كان هذا الحادث يدل على ما لقيت الدعوة الإسلامية من عنت،وماذهب فى سبيلها من ضحايا ، فانه كذلك ليعلن عن شريعة فى الغدر والبغى والقسوة دعا إليها الشرك ومثلها على صفحة الحياة فى عصورها المختلفة. مثلها الشرك مع أصحاب الرجيع ، ومثلها قبل أن تسمع جزيرة العرب دعوة الاسلام فى عهود الأنبياء السابقين وفى ذلك يقول النبي صلوات الله عليه لأصحابه حين نال منهم أذى

المشركين وسألوه النصرة : قد كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له فى الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيشق نصفين ، ثم يمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه » وسيظل الشرك يدعو إليها ويمثلها مادامت هناك دعوة إلى الله ، ودعاة مخلصون يدعون الناس إليها .

وبعد : فليست العبرة فى قصة أصحاب الرجيع أنها تمثل لونا من ألوان الايمان الخالص ، والبطولة النادرة ، والمعانى الانسانية الصادقة حبب إلى أصحابها الاستشهاد فى سبيل عقيدتهم ، ولا أنها تمثل لونا من ألوان الغدر والبغى والجبن حمل البغاة الجبناء الغادرين على الانتقام من قوم تطوعوا للارشاد ورسم طريق الخير والدلالة على معالم الحق انتصارا لطواغيتهم وأصنامهم وتشفيا من قوم يخالفونهم فى العقيدة وحسب بل يجب أن توحى هذه القصة إلى المجاهدين من أبناء الاسلام الفناء فى سبيل إعلاء كلمة دينهم ما دام على وجه هذه الأرض مشركون متعصبون يريدن أن يطفئوا نور الله ، ويلبسوا على المخدوعين من أتباعهم حقائق الدين الخالص .

« يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »

عبد الله النهامى

مفتش المساجد

مسابقات

الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم بالقاهرة

جاءنا من هذه الجمعية أنها ستعقد امتحان مسابقة أولا فى القراءات السبع وثانيا فى القراءات العشر وثالثا فى حفظ القرآن والتجويد لصغار السن ورابعا فى ذلك لكبار السن يوم ٩ شوال سنة ١٣٦٧ (١٤/٨/٤٨) وامتحانا خامسا لطالبى وظائف التدريس بمدارسها فى ١٦ من شوال سنة ١٣٦٧ (٢١/٨/٤٨)

ويمكن الاستعلام عن شروط المسابقة من الجمعية بمركزها بشارع الملكة نازلى رقم ١٢ بدار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة

الآداب الإسلامية

في التأنى السلامة ...

في التأنى السلامة ، وفى العجلة الندامة ، فالتأنى يعطى الإنسان فرصة التفكير في الأمور ، ووزنها بميزان دقيق على مهل وتبصر ، وتقدير ما يترتب على عمله من أثر ، عن روية وتدبر ، كيلا يقع في مآزق محرجة ، لا يستطيع التخلص منها ، أو يستطيع ، ولكن بجهد ومشقة . . . والعجلة من الشيطان ، والشيطان لا يقود المرء إلا إلى مواطن الشر والهلكة ، إذ هو العدو الألد لبنى الإنسان كما وصفه القرآن (إن الشيطان كان للانسان عدواً مبينا) . . فكم للعجلة من نتائج سيئة ، وكم لها من آثار مروعة ، كم أزهقت من أرواح وبددت من أموال ، لولاها لسلمت الأرواح ، ولولاها لبقيت الأموال .

هذا سائق السيارة مثلا — يقودها بسرعة جنونية ، في مدينة مزدحمة كمدينة القاهرة ، يسابق بها الريح ، كأنه في واد فسيح ، فيدهم المارة ، ويقتل السابلة ، فيرمل النساء ، وييتم الأطفال ، ويقضى على نفسه بالسجن أو الموت ، جزاء جهله وتعجله ، وعدم تبصره وتدبره ، ولو تأنى لملك أمره ، وسلمت الناس وسلمت له نفسه ، وكذلك المضارب في التجارة ، يقامر ويغامر ، ويندفع اندفاع السهم في المضاربة ، بدون وعى وبدون روية ، فيضيع منه ما جمع ، ويذهب ماله نتيجة العجلة والطمع ، ولو تأنى . وتأنى ، لسلم عقاره ، وبقى له ماله ، ولما اتضع ، بعد ما علا وارتفع . وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان من عجل ، فإنه أيضاً قد أودع فيه العقل والبصر ، ليميز الخبيث من الطيب ، والضار من النافع ، وليأمن عاقبة الأمر وغائلته ، وهذا رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ، كان لا يقدم على أمر إلا بعد طول أناة وتفكير ، مع أنه مكتمل العقل ، مؤيد بالوحى ، معصوم من الزلل .

وفى قصة أسامة بن زيد رضى الله عنه، ما يجعلنا نطيل التفكير، ونقلب الأمور على وجوهها، حتى يتبين وجه الصواب فيها، قبل أن نقدم عليها.. أرسل عليه الصلاة والسلام غالب بن عبدالله الليثى إلى أهل المبفعة — مكان ناحية نجد — فى مائة وثلاثين رجلا، فساروا حتى دهموهم وقتلوا بعضا، وأسروا آخرين، وفى أثناء القتال طارد أسامة رجلا من المشركين، ولما رأى المشرك أنه هالك لا محالة نطق بالشهادتين، ولكن أسامة ظن أنه ما نطق بها إلا تخلصاً من القتل بدافع الابقاء على النفس فقتله، ولما رجع القوم وأخبر الرسول بما فعل أسامة قال: أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟ فكيف تصنع بلا إله إلا الله، قال أسامة يدافع عن فعلته: يا رسول الله. إنما قالها متعوذاً من القتل، قال عليه الصلاة والسلام. فهلا شققت عن قلبه، فتعلم أصادق هو أم كاذب؟

فقال يا رسول الله إستغفر لى، قال عليه الصلاة والسلام، فكيف بلا إله إلا الله فما زال يكررها، حتى تمنى أسامة أن لم يسلم قبل اليوم، من شدة ما وجد من غضب رسول الله، وأنزل الله فى ذلك الآية الكريمة... (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة)... ثم أمر رسول الله أسامة أن يعتق رقبة كفارة للقتل الخطأ، ولو لم يتعجل أسامة لسلمت للرجل نفسه، ولبقى لأسامة ماله، ولكنها العجلة ما أقبحها. وما أخطرها، وما أبعد آثارها،.. وها هو كتاب الله بين ايدينا فيه من الآيات البينات ما يرشدنا إلى أن نتأنى فى أمورنا كلها، وأن نحذر العجلة والطيش، يقول جل وعز (يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين).. نزلت فى الوليد بن عقبة، بعثه الرسول إلى بنى المصطلق ليجمع الصدقات منهم، فلما علموا بقرب وصوله، خرجوا فى زينتهم يستقبلونه. إعظاما لشأن من أرسله، ولكنه ظن شراً ظن أنهم ما خرجوا إلا لقتاله، لثأر كان لهم عنده فى الجاهلية، فرجع من حيث أتى، وأخبر الرسول بأنهم قد ارتدوا، ومنعوا الزكاة، فبعث إليهم خالد بن الوليد ليستطلع أمرهم سراً، فوجدهم على الإسلام باقين، ولشعائره مقيمين، وأخبر

الرسول بما رأى ، فأرسل إليهم من جاء بالصدقات ، ولو تعجل الرسول فى أمرهم وأخذ بقول الوليد فى شأنهم ، لأمر بقتلهم ، ولكانت مأساة ، لا يخفف من وقع ألمها على نفسه وصحبه ، ندم ولا حزن ولا بكاء .

ويقول عز من قائل فى آية أخرى (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين ، وتجعلون له أنداداً ، ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللارض إئتيا طوعا أو كرهاً ، قالتا أتينا طائعين ، فقضٰهن سبع سموات فى يومين ، وأوحى فى كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم) . أليس الله بقادر على خلق الأشياء جملة وفى لمح البصر ؟ بلى قادر ، ولكنه الإرشاد والتعليم .

وما قصة موسى والخضر عليهما السلام إلا مثل رائع من الهدى السماوى ، والأدب الإلهى . بأسلوب أخاذ ، ينبه الذهن ، ويلفت العقل إلى ما فى التريث والتدبر من كسب وربح ، وما فى التعجل والاندفاع من خسار وحرمان ، يرشد إلى ذلك ما جرى فى الحوار الذى وقع بين عبدين من عباد الله صالحين . . فقد اتخذ موسى عليه السلام صفة المتعلم ، والخضر صفة المعلم ، موسى يتعجل السؤال عن تصرفات للخضر لا يستسيغها عقله ، ولا يقرها شرعه ، ليطمئن قلبه ، وتهدأ نفسه ، والخضر يطالبه بمراعاة شرط الصحبة ، ويدعوه إلى الصبر والأناة ، ويلفته إلى الآداب التى يجب أن يرعاها المتعلم مع معلمه ، وأن يأخذ نفسه بالاحتمال حتى يحدث له منه ذكراً يفسر له ما غمض عليه ، وأغلق عليه فهمه .

ولكن موسى لم يستطع إلى ذلك سبيلا ، فسأله عن خرق السفينة مع أن أصحابها قد أركبوهما بدون أجر ، وعن قتل الغلام مع أنه لم يأت ما يستحق عليه القتل ، وعن الجدار الذى أقامه ، لِمَ لَمْ يأخذ عليه أجرا ؟ مع أن أهل القرية لم يطعموهما ولم يضيفوهما فكان نتيجة تعجله ، أن قطع الخضر صحبته و (قال هذا فراق بينى وبينك ، سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) . .

وحرم من الاستزادة من العلم، وحرم مَن بعده كذلك ، إلى هذا يشير عليه الصلاة والسلام بقوله « يرحم الله موسى، لوددت أنه صبر . حتى يقص علينا من أخبارهما »

وبعد فإن الحلم والأناة من مكارم الأخلاق ، ومن صفات الرجل الكامل الرصين . . . وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس ، فلما كانوا عند المسجد . نزلوا عن رواحلهم ، وتركوها وأسرعوا إلى رسول الله يسلمون عليه ، إلا فتى فيهم يقال له عبدالله بن عوف الأشج . وكان أصغرهم سناً ، فإنه نزل عن راحلته ، وأنزل ما عليها من متاع وأبركها ، ثم غير من ثيابه وتجمل ، ودخل المسجد يمشى على مهل ، تزينه المهابة والوقار ، حتى سلم على رسول الله ، وكان فتى دميم الخلقة ، ففطن إلى نظر الرسول لدمامته ، فقال يارسول الله . إنما الرجل بأصغريه . قلبه ولسانه . ، فقال عليه الصلاة والسلام . إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله. الحلم والأناة. — بهذا وأمثاله يوجه الإسلام أتباعه إلى خير السبل، ويرشدهم إلى ما ينفعهم فى معاشهم ومعادهم ويهديهم إلى أقوم طريق ، (ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيء لنا من أمرنا رشداً) .

محمد عطية حسن

امام مسجد السنديسى بالقاهرة

(بلاغة العباس بن الحسن)

كان العباس بن الحسن هذا معاصرا للمأمون . وكان أثيراً عنده وعند أبيه الرشيد وهو من أهل البلاغة المأثورة .

ومن أجوبته البليغة ما أجاب به المأمون حين سأله عن رجل فقال : رأيت له حلماً وأناة ولم أسمع منه لحنا .يحدثك الحديث على مطاويه . وينشدك الشعر على مدارجه

وكان المأمون يقول : من أراد أن يسمع لهواً بلا حرج فليسمع كلام العباس

وسئل العباس بن الحسن عن رجل فقال لجليسه : اطرب من الأبل على الحداء ومن الثمل على الغناء .

أمراض المجتمع

أثر السجود !!

موضوع له خطره فى حياتنا الاجتماعية والأخلاقية والدينية أولا وأخيراً . فقد انتشر « طابع أسود » فى جباه كثير من الناس . يسميه العامة « زبيبة الصلاة » و « علامة الصلاة » . ويزعمون أنها من الدين وما هى من الدين . ويعتقدون أنها دليل التقوى . وعلامة الصلاح . وشارة القبول . ورمز رضى الله سبحانه على عبده .

وسأبين لك — ما وسعنى البيان . وما أسعفنى البرهان — مقدار ما فى هذا الاعتقاد . وما فى ذلك الزعم من خطأ . وأن هذا الطابع ليس طابع الاسلام والأيمان . وإنما هو طابع الرياء والعصيان اتخذها قوم للتغرير والتمويه . واجتلاب السمعة والشرف . وحسن الذكر بين الناس . فارتكبوا من حيث يشعرون — أو من حيث لا يشعرون — الذنب الأكبر . والشرك الأصغر .

ولقد صدق يحي بن نوفل اليمانى فى قوله [1] لبلال بن أبي بردة .

أبلال إنى رابنى من شأنكم … قول تزينه وفعل منكر
مالى أراك إذا أردت خيانة … جعل السجود بحر وجهك يظهر
متخشعا طلبا لكل عظيمة … تتلو القران وأنت ذئب أغبر

كما صدق موسى بن يسار فى قصيدته التى قالها يدفع بها تغرير سعد بن ابراهيم

(١) الشعر والشعراء ص ٢٨٧

ابن عبد الرحمن بن عوف وهو قاضى المدينة لهشام بن عبد الملك وكان فى وجهه هذه العلامة الشوهاء . ومن هذه القصيدة (١)

لا يغرنك سجدة بين عينيه حذار منها ومنها فرارى
يتقى الناس فحشه وأذاه مثل ما يتقون بول الحمار

وقد كان رسولنا صلوات الله عليه يصلى حتى ترم قدماه . وما أثر عنه أن وجهه الشريف قد أثر فيه السجود قط .

ولو أن وجه الرسول كرمه الله و زاده تشريفا ظهرت فيه هذه العلامة لتواترت بها الأخبار ولكن الأخبار الصحيحة وردت بكراهيته لها والنهى عنها . والتنفير منها .

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إنى لأبغض الرجل وأكرهه إذا رأيت بين عينيه أثر السجود)

وقال أيضا (لا تعلبوا صوركم) أورده صاحب (لسان العرب) فى مادة علب ووارد أيضا فى حديث ابن عمر أنه رأى رجلا به أثر السجود فقال (لا تعلب صورتك) والعلب هو الأثر والوشم . والخدش

وأخرج الطبرانى والبيهقى فى سننه عن حميد بن عبد الرحمن قال كنت عند السائب بن يزيد إذ جاء رجل فى وجهه أثر السجود فقال (لقد أفسد هذا وجهه أما والله ما هى السيما التى سمى الله ولقد صليت على وجهى منذ ثمانين سنة ما أثر السجود بين عينى)

وفى حديث أبى الدرداء رضى الله عنه : رأى رجلا بين عينيه مثل ثفنة البعير فقال (لو لم تكن هذه كان خيرا (٢)) وثفنة البعير ما مس الأرض منه عند إناخته كركبته وكركرته وعن أنس رضى الله عنه قال (كان على عهد رسول الله صلى الله

---

(١) المعارف لابن قتيبة ص ١٠٤

(٢) الاصابة فى تاريخ الصحابة ص ٤٨٤ رقم ٢٤٤٦ (ذ)

عليه وسلم رجل يعجبنا تعبده واجتهاده وقد ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم باسمه فلم يعرفه فوصفناه بصفته فلم يعرفه فبينا نحن نذكره إذ طلع الرجل. قلنا هو هذا قال (انكم لتخبرونى عن رجل إن فى وجهه لسفعة من الشيطان)[١] فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم. فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم (أنشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس مافى القوم أحد أفضل منى — أو — خير منى) قال اللهم نعم. ثم دخل يصلى فقال الرسول (من يقتل الرجل)؟ فقال أبو بكر أنا — فدخل عليه فوجده يصلى. فقال سبحان الله أقتل رجلا يصلى؟ وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل المصلين. فخرج فقال له الرسول مافعلت؟ قال كرهت أن أقتله وهو يصلى وأنت قد نهيت عن قتل المصلين. قال (من يقتل الرجل)؟ قال عمر أنا — فدخل فوجده واضعا جبهته فقال عمر أبو بكر أفضل منى فخرج فقال له النبى صلى الله عليه وسلم (مه)؟ قال وجدته واضعا وجهه لله فكرهت أن أقتله. فقال (من يقتل الرجل)؟ فقال على أنا — فقال (أنت ان أدركته) فدخل عليه فوجده قد خرج. فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له (مه)؟ فقال وجدته قد خرج قال (لو قتل ما اختلف من أمتى رجلان. كان أولهم وآخرهم).

وهذا الرجل الذى أمر الرسول بقتله هو ثرمله (ذو الثديه[٢]) الذى عاش حتى حارب الامام عليا مع الخوارج بالنهروان وقتل بها مع كثير من إخوانه الخوارج الذين كانوا على شاكلته فى الإيمان والنزعة. وهم الذين ينطبق عليهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم (يحقر أحدكم صلاته فى جنب صلاتهم وصومه فى جنب صومهم ولكن لايجاوز إيمانهم تراقيهم).

والحق أن الخوارج قد لعبوا دورا هاما فى الموضوع الذى نحن بصدده حتى

---

(١) السفعة وزان غرفة. سواد مختلط بحمرة

(٢) ويقال له ذو اليديه أيضا لأن يده كانت قصيرة قاله الفراء. وقال (ولا أرى الأصل كان إلا هذا) ولكن الأحاديث تتابعت بالثاء. لسان العرب جـ ٧ ص ١١٨

كاد سواد الوجوه وتقرح الجبهة يكون من علاماتهم يعرفون به ويختصون بذلك دون سواهم .

ولعل الذى دعاهم إلى ذلك إنما هو التغرير والدعاية لمبادئهم وإظهار أنهم هم الأبرار الكرام والمصلون العابدون دون غيرهم من الحكام والولاة

وهذا المعنى كانوا يحرصون عليه كل الحرص ويعملون له جهدهم ليبرروا موقفهم من الخليفة الشرعى والخروج عليه . وليثيروا العامة عليه ويكتسبوا عطفهم ورضاهم بهذه المظاهر الخادعة والحيل المغررة وارتكبوا فى سبيل ذلك ما يحمد وما لا يحمد وكونوا عقائدهم حسب أهوائهم تلك وان بعدوا عن الاسلام وروحه

ولعلك تعجب وتؤيدنا فيما ذهبنا إليه إذا علمت أن الأباضية منهم يحلون الرياء وهو الشرك الأصغر بل يقولون بالطاعة التى لايراد بها الله أى أنهم زعموا أن العبد إذا أتى بما أمر به ولم يقصد بذلك وجه الله كان ذاك طاعة (١) .

كل ذلك كان سببا فى ظهور هذه العلامة فى الخوارج وشيوعها فيهم واختصاصهم بها بل إنهم تجاوزوا ذلك إلى التحدث عنها بلسان الرضى والقبول — والفخر بها أيضا — وهاك قول أبى حمزه الخارجى فى وصف قومه (شباب والله مكتهلون فى شبابهم عفيفة عن الشر أعينهم . ثقيلة عن الباطل أرجلهم قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم) .

ويحدثنا الأستاذ أحمد أمين فى كتابه فجر الإسلام (٢) أنه لما أرسل على (كرم الله وجهه) عبد الله بن العباس لأهل النهروان من الخوارج (رأى منهم جباها قرحة لطول السجود وأيديا كثفنات الابل عليهم قمص مرحضة وهم مشمرون) وذكر المسعودى فى مروج الذهب (٣) أن جملة من قتل من أصحاب على فى النهروان تسعة ولم يفلت من الخوارج إلا عشرة وأتى علىّ على القوم وهم

(١) المواقف ج ٨ ص ٣٩٤

(٢) الفجر ج ١ ص ٣٢١

(٣) المسعودى ج ٢ ص ٣٧

أربعة آلاف فيهم المخرج ذو الثدية (وهو الرجل السابق الذى وصفه الرسول بأن فى وجهه سفعة الشيطان).

وقبل هذا يروى لنا المسعودى أيضا عن المنذر بن الجارود [١] وصفا لهم يوم الجمل فقال (لما قدم على رضى الله عنه البصرة خرجت أنظر إليه فورد موكب.. ثم ورد موكب... ثم ورد موكب... إلى أن قال ثم مر بنا فارس آخر عليه ثياب بيض وعمامة سوداء معه راية بيضاء فى ألف من الناس مختلفى التيجان حوله مشيخة وكهول وشباب كأن قد أوقفوا للحساب أثر السجود قد أثر فى جباههم)

ويظهر أن أعداء على جميعا كانوا يحاربونه بطريقة واحدة متوارثة فيهم وبنظام خاص أصبح من تقاليدهم. فانا نرى معسكر طلحة والزبير يستعمل تلك الأسلحة التى جاء بها الخوارج بعدهم فاستعملوها. أسلحة التغرير والختل والخداع والنفاق فانا لنلمح فى صفوفهم سفعة بناصية كاذبة خاطئة.

تلك التى ذكرها (ابن قتيبة) بعد أن انتهى من سرد وقائع الجمل فقال [٢] (ثم إن عليا مر بالقتلى فنظر إلى محمد بن طلحة وهو صريع فى القتلى وكان يسمى السجاد لما بين عينيه من أثر السجود) ومحمد هذا هو الذى قال فيه قاتله وهو غير غافل عما يحمل فى ناصيته من طابع خاص يخدع به العيون.

وأشعث قوام بآيات ربه قليل الاذى - فيما ترى العين - مسلم
ضممت إليه بالقناة قميصه فخر صريعا لليدين وللفم

فهاهو الشجاع العلوى لم يغفل عن تلك الأباطيل التى تشيع من صفوف خصمه ولم ينس أن ينعته بأنه مسلم فى رأى العين. وأما فى الحقيقة فهو ثعلب ماكر ليس من الحق فى شىء يستحق القتل وأكثر. وقبل ذكر صاحب الامامة لقتل محمد هذا نراه يخصه بحديث عنه وهو فى طريقه إلى الحرب مع عائشة رضى الله عنها وقد رأت الماء. فيروى [٣] أنها قالت له (أى ماء هذا)؟ فقال هذا ماء

(١) المسعودى ج ٢ ص ٧ (٢) الامامة والسياسة ج ١ ص ٧٢
(٢) ص ٥٩ ج ١ من الكتاب المذكور.

الحوأب . فقالت (ما أرانى إلا راجعة) قال ولم؟ قالت (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنسائه — كأنى باحداكن قد نبحها كلاب الحوأب وإياك أن تكونى انت ياحميراء)

فقال محمد بن طلحة — والكلاب ينبحنهم من كل ناحية — تقدمى رحمك الله ودعى هذا القول . ثم أتيت ببينة زور من الاعراب فشهدوا بذلك فزعموا أنها أول شهادة زور شهد بها فى الاسلام

هذا طرف يثبت ماذهبنا إليه من أن أعداء على اتبعوا سياسة واحدة فى المناوأة وأن هذه العلامة السوداء كانت كثيرة الانتشار فى جباهم . وإليك طرفا آخر يؤكد لك ما ارتأينا .

جاء على لسان (صعصعة بن صوحان) أحد جنود على وقد قام يدلى برأيه لما رفع المعاويون (أتباع معاوية) المصاحف فقال مخاطبا الامام وواصفا أعداءه وما لاقاه منهم .

(يا أمير المؤمنين إنا سبقنا الناس إليك . يوم قدوم طلحة والزبير عليك . فدعانا حكيم إلى نصرة عاملك عثمان بن حنيف (١) فأجبناه . فقاتل عدوك حتى أصيب فى قوم من بنى عبد قيس عبدوا الله حتى كانت أكفهم مثل أكف الإبل وجباههم مثل ركب المعز فكنا أول قتيل وأسير . وقد بقى الحق موفورا . والأمر إليك . ما أراك الله فمرنا به) (٢)

هذا شىء أردت إثباته وهو أن هذه السفعة ظهرت تحت عوامل غير شريفة الغرض والغاية فابرزها حب الظهور والغلبة ونشرها شيطان « ماكر فى جباه قوم ماكرين » كما أن التاريخ يحدثنا أن بعض الخلفاء الأمويين قد ظهرت فى نواصيهم هذه العلامة أيضا وتملقهم الشعراء باطرائهم والثناء عليهم بها — وغير

---

(١) عامل على على البصرة

(٢) الامامة والسياسة ص ١١٤ ج ١

خاف أن بنى أمية العدو الثالث لعلى وآل بيته — فلقد قال الأخطل لعبد الملك ابن مروان .

تسمو العيون إلى إمام عادل معطى المهابة نافع ضرار
ويرى عليه إذا العيون رمقنه سيما التقى وهيبة الجبار

وقد سبق لك ما قاله ابن يسار يهجو به قاضى المدينة لهشام (لايغرنك سجدة . .) البيتين . ولكن الحق يوجب علينا أن نذكر أن بنى أمية لم يسرفوا فى التمسك بها ونشرها بينهم إسراف الخوارج ومن قبلهم .

كما يوجب علينا أن نذكر أن هذه العلامة أخذت تختفى رويدا رويدا فى إبان دولتهم كلما تقادم العهد . والأمانة تلزمنا أيضا أن نقول ان العباسيين من بعدهم أصابهم ما أصاب من سبقهم. وظهرت فيهم (علامة الصلاة) ومدحهم الشعراء بها.

قال البحترى يمدح المهدى بالله

ملك تحييه الملوك وفوقه سيما التقى وتخشع الزهاد
متهجد يخفى الصلاة وقد أبى اخفاءها أثر السجود البادى

بل زاد العباسيون شرا فى هذه الناحية. فانا نرى التاريخ يأخذ عليهم ويسجل فى صفحاته ان هذه العلامة أحدثها الناس فى عهدهم لا بالشدة فى السجود ولا بالسجود على المكان الخشن ولكن بمعالجة مكانها بالثوم الحريف حتى يندبغ ويسود

وهذا مافعله أبو النواس لما سجنه الفضل بن الربيع لخلاعته ومجونه فعمد إلى جبهته فعالجها بالثوم فى السجن حتى اسودت . وأرسل إلى الفضل قصيدة ذكر فيها نسكه وتوبته وعبادته وصلاته فأطلق سراحه . وهى هذه [1]

يا ابن الربيع علمتنى الفضـ ـل والفضل فيك عادة
فاذا شئت أن ترى طرفة تعـ ـجب منها مليحة مستفادة
فادع بى لاعدمت تهذيب مثلى وتأمل بعينـك السجادة

(١) الشعر والشعراء ٣١٩ والمجمل فى الأدب العربى .

تر (سيما الصلاة) بوجهى توقن النفس أنها من عبادة
لو رآها بعض المرائين يوما لاشتراها بعدها للشهادة

ووضع آخر إذ ذاك ثوما على جبينه وشد عليه بعصابة ونام فعبث فى نومه بالعصابة فانتقل الثوم إلى طرف الجبهة. فاصطبح الرجل وقد اسود مافوق حاجبه فسئل عن ذلك. فلم يملك إلا أن يجيب إجابة الماجن وهو أنه (ممن يعبد الله على حرف). ويعلم الله أنه ما عبد على حرف ولا على غيره وإنما أراد أن يقول الناس فيه (صلى) وهو ماصلى ولا ذهب إلى المساجد قط. وإنما هو خليع من المتلاعبين بالدين وتقاليد الاسلام أراد أن يحصل شرفا فاته بحيلة لا تكلفه كثيرا من العناء. ولا نصبا فى القيام بالأعباء والتكاليف. فيصير بين عشية وضحاها معدودا فى عداد الصالحين تلهج الألسنة بذكره ويشيد الناس به وهو غارق فى خلاعته لايتورع عن مقارفة الآثام وارتكاب أكبر المحرمات.

والواقع أن عهدا كعهد العباسيين يكثر فيه الترف والنعيم. والأخذ بكل أسباب اللهو والرفاهية لا يبعد أن ينتشر فيه المجون مشوبا بالمروق عن الدين والاكتفاء منه بظواهر خادعة ومظاهر كاذبة تكفى الملحد والزنديق والهازل الماجن والجبار الظالم أن يعتبرهم المخدوعون من المصطفين الأخيار.

وهنا تكون الفوضى الخلقية واختلاط الحابل بالنابل — كما يقولون —

ولكن الاسلام يصرح — بأفصح عبارة — بأن الله لا ينظر إلى الصور ولكن ينظر إلى مافى الصدور والقلوب من نيات وعقائد.

ويقول كتابه (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)

ويقول أيضا (ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب)

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو يشير إلى صدره الشريف (التقوى هاهنا. التقوى هاهنا. التقوى هاهنا)

وباضافة هذا إلى قوله تعالى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير)

لا يبقى للظواهر طريق فى الاسلام تغرر به أو تسير عليه .

وإذا اعتبر الاسلام ظواهر الأمور فى بعض الظروف الخاصة فانه قد ترك للحاكم باب الاجتهاد فى الأحكام مفتوحاً على مصراعيه كما ترك للمسلم حريته وإرادته واختياره ومن وراء كل هذا عقله يصرف به أمره وحثه على النظر وإعمال الفكرة والتبصر حتى لاتخدعه هذه الظواهر ولا يشغله الطلاء المموه عن اللب وما وراء القشور .

فذكر أن المؤمن لاينخدع وأنه ينظر بنور الله وأنه لايلدغ من جحر مرتين .

* * *

ولعل كل مايستدل به أولئك الذين بدلوا خلق الله للرياء . وغيروا مابانفسهم للخديعة هو قوله تعالى فى وصف النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود)

وهو استدلال بما لا دليل لهم فيه لما سبق من الأحاديث الكثيرة الصحيحة التى تعيب عليهم هذه العلامة وتعلن كراهية الرسول لأصحابها وروى عن مجاهد فى تفسير الآية (أن سيماهم ليست الأثر فى الوجه ولكن الخشوع والتواضع)

وقال غيره كالحسن وعطية وابن عباس انها سيماهم فى وجوههم يوم القيامة تكون كالقمر ليلة البدر فى النور والبياض قال تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) فالبياض للمؤمنين والسواد لغيرهم يسفعون به فى جباههم . قال تعالى (لنسفعن بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة)

وجاء عن عطاء أنها البياض والنضارة فى الدنيا فمن كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار واختار هذا الامام الغزالى فى إحياء علوم الدين [1] وهو الأصح عنده فقال (هو نور الخشوع يشرق من الباطن على الظاهر . وهو الأصح)

(١) الأحياء جـ ١ ص ١٢٣

وقال الامام مالك بن أنس رضى الله عنه كانت وجوههم منيرة من كثرة السجود فى التراب . وقيل إنها الصفرة فى الدنيا من الخشية والخوف من الله حتى يظهر للناظر إليهم أنهم مرضى وليسوا بمرضى [١] :

وقال بعض الصوفية إنها نفحة ربانية لاتراها العيون ولكن تراها القلوب حتى لايشك من رآهم أنهم عباد الله المخبتون وأحباؤه المخلصون .

أظننى بعد هذا كله لست فى حاجة إلى زيادة التدليل على فساد مزاعم أولئك الذين لم يعملوا بوصية لقمان لابنه . إذ قال له وهو يعظه « يابنى لاتر الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر »

كما أعتقد أنى لست فى حاجة إلى زيادة إقناعك بأن زعيم الخوارج ذا الثفنات السود قن ابتدع بدعة سيئة هو وحزبه فعليهم إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة

(وبعـــد)

فإنى أدعو ربى بما كان يدعو به « على بن الحسين » رضى الله عنهما . لما فوجىء بهذه الثفنة فخاف ووجل وقال « اللهم إنى أعوذ بك أن تحسن فى لامعة العيون علانيتى . وتقبح لك فيما أخلو سريرتى . محافظاً على رياء الناس من نفسى . ومضيعاً لما أنت مطلع عليه منى . فأبدى للناس أحسن أمرى . وأفضى إليك بأسوأ عملى . تقرباً إلى الناس بحسناتى . وفراراً منهم إليك بسيئاتى . فيحل بى مقتك . ويجب على غضبك . أعذنى من ذلك يارب العالمين » .

ولكن لاعليك يابن « ريحانة أهل الجنة » . فأنت أبعدنا عن الرياء . وقد جاءتك عن غير قصد منك . وقد أذهب الله عنكم الرجس أهل البيت وطهركم تطهيراً . فأنت بحق « زين العابدين » ؟

الدسوقى حسن سلام
خطيب مسجد الجزيرة بالقاهرة

(١) قاله الربيع بن أنس وارتضاه عطاء .

طرائف

المروءة

قيل لسفيان بن عيينة قد استنبطت من القرآن كل شيء فأين المروءة فيه ـ فقال فى قوله تعالى « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ففيه المروءة وحسن الآداب ومكارم الأخلاق . فجمع فى قوله . خذ العفو صلة القاطعين . والعفو عن المذنبين . والرفق بالمؤمنين . وغير ذلك من أخلاق المطيعين . ودخل فى قوله وأمر بالعرف . صلة الأرحام وتقوى الله فى الحلال والحرام . وغض الأبصار . والاستعداد لدار القرار . ودخل فى قوله وأعرض عن الجاهلين . الحض على التخلق بالحلم . والإعراض عن أهل الظلم . والتنزه عن مقارعة السفهاء ومساواة الجهلة الأغبياء وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة .

من حكم الامام على رضى الله عنه

قال سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنه . ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله ﷺ ما انتفعت بكلام بعثه إلى على بن ابى طالب رضى الله عنه . كتب إلى

أما بعد . فإن المرء يسره إدراك مالم يكن ليفوته . ويسوءه فوت مالم يكن ليدركه . فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك . وليكن أسفك على ما فات منها وما نلت من أمر دنياك فلا تسكن به فرحا . وما فاتك منها فلا تيأس عليه جزعا . وليكن همك مابعد الموت .

البلاغة

قيل لعمرو بن عبيد الواعظ المشهور . والخطيب المفوه ما البلاغة .

قال : ما بلغك الجنة ، وعدل بك عن النار .

قال السائل — ليس هذا أريد .

قال عمرو — فما بصرك مواضع رشدك . وعواقب غيك .

قال السائل — ليس هذا أريد .

قال عمرو — من لم يحسن أن يسكت . لم يحسن أن يسمع . ومن لم يحسن أن يسمع لم يحسن أن يسأل . ومن لم يحسن أن يسأل . لم يحسن أن يقول .

قال السائل — وليس هذا أريد .

قال عمرو — فكأنك تريد تحبير الألفاظ .

قال السائل — نعم .

قال عمرو — انك ان أردت تقرير حجة الله فى عقول المتكلمين . وتخفيف المؤنة على المستحقين . وتزيين المعانى فى قلوب المستفهمين . بالألفاظ الحسنة رغبة فى استجابتهم . ونفى الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الناطقة . عن الكتاب والسنة كنت أوتيت فصل الخطاب .

الطبيعة والفطرة

قال كسرى انوشروان لأحد علماء الفرس : ما كان أفضل الأشياء فقال العالم الطبيعة النقية تكتفى من الأدب بالرائحة . ومن العلم بالاشارة . وكما يموت البذر فى السباخ تموت الحكمة بموت الطبيعة .

فقال له كسرى — صدقت ونحن لهذا قلدناك ما قلدناك .

وقيل لازدرشير — الأدب أغلب أم الطبيعة . فقال — الأدب زيادة فى العقل . ومنبهة للرأى ومكسبة للصواب . والطبيعة أملك لأن بها الاعتقاد . وبها الفراسة . وتمام الغذاء

يوسف البجيرمى

خطيب مسجد الشهداء

المنبر العام

(٢) أثر الدين فى المجتمع

تعاليم الاسلام

تضمن القرآن الكريم تعاليم الإسلام التى فيها سعادة البشر وهداهم ورشدهم وتقاهم وكفل للانسان غذاء عقله وزكاة نفسه وقوام حياته وصلاح دنياه وآخرته ويمكن اجمال أهم هذه التعاليم فيما يأتى :

أولا — نفى الوساطة بين الله وعباده وربط السعادة والشقاوة بالأعمال .

ولقد كان الناس قبل الإسلام طرائق قددا منهم من يتخذ تعاليم الأحبار والرهبان ديناً يتبعونه لا ينحرفون عنه يمنة أو يسرة ولو خالف هـذه التعاليم ما جاءت به الرسل وكانوا يذهبون فى إجلال هؤلاء الأحبار والرهبان إلى نهاية التقديس فهم وسطاؤهم عند الله وشفعاؤهم إذا قبلوا قرابينهم فهم المقبولون وإذا غفروا ذنوبهم فهم المفلحون، ومنهم من كان يعبد الأصنام والأوثان والكواكب والملائكة والجن ونحوها آلهة تقربهم إلى الله زلفى وقد نعى الإسلام على هؤلاء وهؤلاء سوء صنيعهم ودعاهم إلى اخلاص العبادة لله وحده قال تعالى « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

وقال تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم

وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون » وقال تعالى « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون» وقال تعالى « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون » وقال تعالى « يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » .

جاء الإسلام والناس على هذه الحال فالمتبوعون يسخرون من عقول التابعين والتابعون يخضعون لهؤلاء المتبوعين حتى أصبحوا فى أيديهم كالطفل فى يد مربيه فألغوا عقولهم وعطلوا مواهبهم واعتمدوا فى سعادتهم ومحو شقاوتهم على التقرب من هؤلاء يتزلفون إليهم بمختلف الوسائل وشتى الأساليب فأنقذ الله بنور الإسلام البشرية من ظلام هذا الشقاء وأعلن أن الله أقرب إلى عباده من حبل الوريد قال تعالى « وإذا سألك عبادى عنى فأنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » وقال تعالى . « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » .

بهذا المبدأ الجليل نطق القرآن الكريم ودعا إلى العمل الصالح الذى هو مقياس السعادة وأنكر ما يعتقده هؤلاء من وساطة المتبوعين وشفاعة الأقربين قال تعالى « كل نفس بما كسبت رهينة » وقال تعالى « وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى وأن إلى ربك المنتهى » وقال تعالى « يأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة رضى الله عنها « يا فاطمة اعملى فانى لا أغنى عنك من الله شيئا » ويقول عليه السلام « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ».

ثانيا — دعوة العقل إلى النظر والبحث فى آيات الله ليصل إلى الإيمان واليقين وقد جاء فى القرآن كثير من الآيات التى تحض على النظر فى ملكوت السموات

والأرض قال تعالى . « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء » .

وذلك ليستنبطوا بتفكيرهم وبحثهم أن للكون خالقا واحدا قادرا عليما حكيما وفى ذلك رفع لقيمة العقل وأنه مناط التكليف والفيصل بين الحق والباطل ولذا نجد القرآن الكريم يثنى على أهل العلم والعقل والحكمة فيقول « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ويقول « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ويقول » هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ويقول « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » ويقول « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » .

وما الحكمة إلا القول السديد والرأى الرشيد عن تبصر وتدبر وتعقل وقد أثنى الصحابة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل لاجتهاده فى العبادة فقال كيف عقل الرجل قالوا يا رسول الله نخبرك عن عبادته وتسألنا عن عقله فقال ان الأحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر . وإنما يرتفع العباد عند الله فى الدرجات على قدر عقولهم . وقد حرص المسلمون على العمل بهذا المبدأ فكانت لهم ثروة علمية لا يزال العالم ينعم بها ويدين لأهلها بالشكر والعرفان وها نحن نسمع صيحة العلماء المشرعين فى القانون من غير المسلمين يقررون أن الشريعة الإسلامية معين سائغ للتقنين كما قرر ذلك مؤتمر القانون الدولى الذى عقد أخيرا فى أوروبا .

ثالثاً — المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات وانهم لايتفاوتون إلا بالأعمال الصالحة « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

فالمسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى « كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله أتقاكم » .

بهذا المبدأ رفع الإسلام شأن الانسان وجعل قيمته فى الحياة رهنا بما يحسنه من رأى أو عمل .

وما مبدأ الشورى الذى سنه الإسلام بقوله « وشاورهم فى الأمر » وقوله فى الثناء على المؤمنين « وأمرهم شورى بينهم » إلا تمجيد للعقل واحترام للرأى وتسوية بين أفراد المجتمع وقد كان صلى الله عليه وسلم مثلا صالحا لأمته فى الأخذ بهذا المبدأ والحرص على تنفيذه فقد شاور أصحابه فى غزوة بدر وغزوة أحد وغزوة الخندق ونزل عند رأى الأغلبية فى غزوة أحد مع أنه كان مخالفا لرأيه فقد طالبه الله أن يسوى بين الناس فلا يؤثر قويا على ضعيف ولا غنيا على فقير ولا شريفا على وضيع قال تعالى « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين » .

وبهذا قضى على العصبية الجاهلية التى كانت تعتبر قيمة الرجل بجاهه وماله وحسبه ونسبه .

رابعا — قرر الإسلام ان الدين شرع لسعادة الناس وخير المجتمع فليست الحكمة من العبادات مجرد التبتل إلى الله والتقرب منه وإنما هى وسيلة عملية لتهذيب الأخلاق وتقويمها ورياضة النفس على حب الخير وحسن المعاملة « يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » .

فالصلاة تغرس فى نفس الانسان المراقبة والخشية وتعمر قلبه بالايمان فاذا وقف المصلى بين يدى ربه خمس مرات فى اليوم والليلة يستحضر فيما يتلو من آيات القرآن أوامر ربه ونواهيه دعاه ذلك إلى التزام الصراط المستقيم والعزوف عن المناكر « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » .

والصوم وسيلة للتراحم والتعاطف بين الناس وتعويد الانسان الصبر وقوة الإرادة والعزيمة وسمو بالانسان إلى الملأ الأعلى وتجريد روحه من التعلق بالماديات

وترويض قوى على البر والإحسان ومعرفة نعم الله على عبده فانه لا يعرف قيمة النعمة إلا من فطم عنها وقتاً من الأوقات « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » .

والزكاة إحسان منظم يفى بحاجة الفرد ومصالح المجتمع ، اشتراكية حكيمة سمحة بما تفرض فى مال الغنى من حق معلوم للسائل والمحروم وفى هذا هدوء المجتمع وسعادته وأمنه وسلامته ونشر للمحبة والألفة بين أفراده « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » .

والحج عبادة اجتماعية تربط المسلمين بذكرى أبيهم ابراهيم وصلة وإحسان لسكان تلك البلاد المقدسة وتعويد على احتمال المكاره والحرمان من اللذائذ والمتع وسبيل للتعارف بابناء الإسلام على اختلاف أجناسهم وعناصرهم فى مؤتمر جامع يتذاكرون فيه سابق مجدهم ومشاكل حاضرهم فيضعون أمثل الخطط لرفع شأنهم ومعالجة عللهم وهذه منافع دينية واجتماعية للمجتمع فيها سعادة وللروح فيها صفاء وللنفس فيها صلاح قال تعالى (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) .

هذه أهم المبادىء التى جاء بها الإسلام وكفل بها الخير والصلاح للمجتمع وجعلها وسيلة لتقويم الأخلاق وإحسان المعاملات وعليها يرتكز نظام المجتمع وتقوم قواعده وأسسه فسعد بها المسلمون بل سعد العالم كله فى ظلال هذه التعاليم دهراً طويلا .

فقد قامت روابطهم على أسس متينة من الأمانة والصدق والاخلاص والعدل والوفاء بالعهود واحترام الملكية والحرية فى حدود كتاب الله وسنة رسوله فحققوا ما وصفهم الله به فى قوله جل شأنه « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبه الأمور » وحقق الله لهم وعده فى قوله « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات

ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا »

ونظرة إلى العالم الآن وما يصيبه من علل وأمراض وما ينزل به من قلاقل وآلام جعلت الحياة سعيراً تدلنا على أن العلة هى ترك الدين .

فالحروب إنما يوقد نارها الطغيان والعدوان ونقض العهود ، والنزاع بين الأغنياء والفقراء وبين العمال وأصحاب الأعمال منشؤه الطمع ومنع الحقوق عن أهلها .

فالعالم يقاسى اليوم شقاء فى حياته وفوضى فى أخلاقه لم تجد فى علاجها مواثيق ساسته ولا تعاليم فلاسفته ولا مذاهب علمائه التى ابتدعوها فى الاقتصاد والاجتماع فما أشبه هذه الظلمات التى تغشى الحياة العصرية بتلك الحياة الجاهلية التى عالجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشفى المجتمع منها وبدلهم من شقائهم وشرورهم سعادة وسلاما فسعد الناس وعاشوا آمنين .

فإذا أردنا أن ننقذ مجتمعنا اليوم من رذائله ونكباته التى لا يزيدها تقدمه المادى ورقيه الظاهرى إلا تأصلا ورسوخاً .

فعلينا أن نستضىء بهدى النبوة ونستطب بتعاليم الإسلام فإن هذا العالم لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله كتاب الله وسنة رسوله فاعملوا بهما والتزموا هداهما واستوجبوا رحمة الله التى وعدكم فى قوله سبحانه وتعالى (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) .

عبد الله المراغى

مدير المساجد

الاسلام وأعداء الانسانية

(١) الجهل (٢) الفقر (٣) المرض

٢ ــ مكافحة الفقر

وفاء بما وعدنا ، نلتقى مع حضرات قراء « منبر الاسلام » فى ميدان مكافحة الفقر ، لنشهد جنود الأدلة تتدفق من أقطار الشريعة الاسلامية لمطاردة الفقر ومحاربة العوز ، ومصارعة المسكنة ، ولنبصر جيشا منظما قد أعده الاسلام لمنازلة الجوع ، وقتال المسغبة ، ومقاومة العدم ولتطلع بنفسك على الخطط الحكيمة والنظم السليمة التى رسمها الاسلام فأحكم رسمها ونسجها فأتقن نسجها للقضاء على وباء الفقر،وغزو جراثيمه قبل أن تفتك بجسم الاسلام،أو تنشر الخمول فى البلاد

هبط الاسلام من السماء ، لاصلاح شئون الاجتماع ، بما يقصر عنه كل باع وصاح فى الفقر صيحة داوية لايزال صداها يرن فى الآذان ، وخط بيمينه صحيفة الاصلاح الاجتماعى لاتزال مسطرة فى كتبه المقدسة تتحدى المكابرين وتعلن للعالمين أن الإسلام دين الغنى والثراء وملة اليسر والرخاء ، كما هو عقيدة القوة والسياسة والعزة والسيادة وها كم ماأقام الإسلام من قواعد وشاد من صروح لتمويل الفقراء وللدفاع عن حقوقهم ولإبادة آفة الفقر بين المسلمين فى مبادىء خمسة :ــ

ا ــ نفرة الاسلام من الفقر وتعويذ المسلم منه وتحريم المسألة

ب ــ دعوة المسلم إلى طلب الغنى وأخذ نصيبه من الدنيا

ج ــ ذم البخل والبخلاء والزراية على الأشحاء

د ــ الحث على البذل والتوسعة والانفاق فى سبيل الله والوطن والأهلين

ه ــ وجوب الزكاة فى الأموال والزرع كحق معلوم للفقير والمحروم

هذه الجداول الخمسة تنساب من نهر الشريعة الاسلامية لتحيل أجادب الفقر

والعسر والحرمان ، إلى يسر ورخاء وغنى وثراء .. ومسالك الأدلة إليها ، نجملها فيما يلى : —

ا — علق بأذهان الكثير أن الاسلام يحمى الفقر ويدعو إليه وأنه ينشر الخمول ويحنو عليه وذلك من النظر السقيم ، فإن الاسلام يحمى الفقير ولا يحمى الفقر ويرغب فى مواساة المسكين ولا يواسى المسكنة . لأن الفقر داء لا دواء ومرض لاصحة . فكيف يعقل أن يمعن الاسلام فى طلب الداء !، ويترك المرض يشيع فى الجسم الفساد ، والانسان بطبيعته يعطف على المريض ويواسيه ويسأل الله السلامة من مرضه وبالتالى يكره أنات المرضى فكيف بالمرض ! فكذلك الاسلام يعطف على الفقير ويواسيه ومبادئه تدعو إلى الفرار من الفقر ،والاسلام بطبيعته الاجتماعية يتعوذ من الفقر ، وينفر منه ويرغب فى الغنى وطلب اليسار ، وينهى عن الضعف والاعسار روى مسلم فى صحيحه : من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك وفجاءة نقمتك وتحول عافيتك . ومن دعائه عليه الصلاة والسلام : اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الفقر وعذاب القبر . ومن دعائه : اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع . وكان يقول : اللهم انى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى وقال صلى الله عليه وسلم : اليد العليا خير من السفلى . وروى أبو داود وابن حبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : الأيدى ثلاثة يد الله العليا ويد المعطى ويد السائل السفلى . وروى مسلم عن رسول الله قال: إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى ، وقال : إن الله كره لكم ثلاثا : قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال — وقوله عليه الصلاة والسلام لاتزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس فى وجهه مزعة لحم ، وقوله : من سأل وعنده مايغديه أو يعشيه فقد استكثر من جمر جهنم — إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية التى بغضت إلينا الفقر وأمرتنا باعتزاله ، لأن الفقر مذلة الشعوب وبلاء على المجتمع ونكبة فوق الرءوس ومهانة للأمم ، والفقر لايرفع رأسا ولا يعلى نفسا ولا يبنى مجدا ولا ينصر ضعفا ،

ولو أردنا أن نسوق ما قيل فى الفقر وشره وضرره وإثمه من أفواه الدين والحكمة لطال القول .

ب — لذلك ترى الاسلام يرشد المسلم إلى أسباب الغنى واليسر فيأمره بأن يضرب فى الأرض ذات الطول والعرض وأن يستعمرها شرقا وغربا، وأن يأخذ منها نصيبه غير منقوص ، وأن يفرض عليها ولايته وسيادته . قال الله تعالى : ولا تنس نصيبك من الدنيا . وقال تعالى . فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وقال تعالى : هو الذى جعل لكم مافى الأرض جميعا . وقال تعالى : فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » وروى الطبرانى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يحب المؤمن المحترف وقال صلى الله عليه وسلم : خيركم من لم يترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه ، وإنما يأخذ من هذه ومن هذه ، وقال صلى الله عليه وسلم : أحرث لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا وروى البخارى ومسلم عن رسول الله : لأن يحتطب أحدكم خير له من أن يسأل أحدا أعطاه أو منعه ، وفى الحديث الصحيح : إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم فقراء يتكففون الناس »

فصريح الاسلام الدعوة إلى الغنى وجمع الثروة،لأن ذلك يرفع مستوى المجتمع ويزيد فى صلاحه ويمكن من بنيانه،ويجعل الأمة قوية برخائها مهيبة بثرائها مرهوبة بمالها سعيدة فى معيشتها.قال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه:ياحبذا المال أصون به عرضى وأتقرب به إلى ربى . وما أجزل قول عروة بن الورد فى غرر شعره :

ذرينى للغنى أسعى فإنى — رأيت الناس شرهم الفقير
وأحقرهم وأهونهم عليهم — وان أمسى له كرم وفير
يباعده القريب وتزدريه — حليلته وينهره الصغير
وتلق ذا الغنى وله جلال — يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم — ولكن للغنى رب غفور

حقا . إن المال سر السلطان ، وعصب الحياة وباب الجاه ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

ج — ولما كان البخل يهضم حق الفقير والشح يبتلع نصيب المسكين حرم الله البخل وذم الشح وأنذر البخلاء والأشحاء بعذاب أليم ولأن البخل والشح فوق ذلك مهلكة للأمم ومفسدة للمجتمع ، وصد عن الخير والاحسان — قال تعالى : ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير » وقال تعالى : وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله إذا تردى » .

وروى ابن ماجة والنسائى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من أحد لايؤدى زكاة ماله إلا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع حتى يطوق عنقه . وتلا رسول الله : ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله . إلخ الآية . وروى أبو داود والحاكم : إياكم والشح فانما أهلك من كان قبلكم الشح : أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا . وروى البخارى : شر مافى الرجل شح هالع وجبن خالع » بهذا الأسلوب القوى الجبار حارب الاسلام البخل لأنه إمساك عن الخير وهو يصرع المجتمع الصالح ويشيع فيه الفساد بما يثير من شحناء تؤلب الفقراء على الأغنياء .

د — فحماية للمجتمع من الفوضى ، وصونا له من الاضطراب ، وابقاء على الصلة العامة بين الاغنياء والفقراء واعترافا بحق الفقراء فى الحياة ، أمر الله عز وجل الأغنياء والموسرين أن ينفقوا ويوسعوا على المساكين والضعفاء وأن يعطوا هؤلاء نصيبا مفروضا وحقا مقررا . مما جعلهم الله مستخلفين فيه . تطييبا لقلوبهم ومحافظة على محبتهم . قال الله تعالى : وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه . فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » .

وقال تعالى : فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى »

وقال تعالى : من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة» وقال عز وجل : وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » وقال سبحانه : مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : ياعبدى أنفق أنفق عليك ، وعنه أيضا : مامن يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا » وروى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال : كان أبو طلحة أكثر الأنصار مالا بالمدينة وكان أحب ماله إليه « بير حاء » وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها فيشرب من ماء فيها طيب قال فلما نزل قوله تعالى : لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، قام أبو طلحة إلى رسول الله وقال : يارسول الله . ان الله تبارك وتعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان أحب أموالى « بيرحاء » وإنها صدقة أرجو برها وذخرها عند الله . فضعها يارسول الله حيث أراك الله — فقال رسول الله: بخ ذاك مال رابح بخ ذاك مال رابح — وروى الطبرانى باسناد حسن عن أبى امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صنائع المعروف تقى مصارع السوء . وصدقة السر تطفىء غضب الرب . وصلة الرحم تزيد فى العمر »

وفى الحق ما شهدنا دينا قويما كالاسلام يحث على الإنفاق والبذل فى سبيل مرضاة الفقير والاحتفاظ بكرامته ويعد على ذلك عز الدنيا وشرف الآخرة .

ﻫ — وأما المبدأ الخامس فهو الجدول الفياض الذى لا ينضب، والنبع السيال الذى لا يغيض . لذلك سنقف أمامه وقفة فيها تفصيل وتوضيح . لندرك سمو الاسلام بالانسان ، ولنحيط بما أعده الاسلام للفقير من نظم وموارد تكفل له

الخير وتدر له الرزق وتحبب إليه الحياة . ومن عجيب أمر الاسلام التى يدهش لها الأريب الحكيم أنه وضع تلك النظم ورتبها على أساس متين وقام على توزيعها وتقديرها بطريقة سليمة لا تضر أصحاب الأموال ولا تتحيف على رءوس الأموال . وفى الوقت نفسه فتحت للفقراء عيونا ثرة وموارد فياضة تجرى بأرزاقهم وتصلح من شأنهم وتقوم بحاجياتهم وتسعف من مطالبهم . وسيأخذك العجب معى حينما تقرأ ديوان مكافحة الفقر فى الاسلام وتطلع على مواده الأساسية التى خطها القرآن الكريم ورسمها نبى المسلمين وطبقها المسلمون فى بلدانهم فأثمرت خيرا وبركة فى بلاد الاسلام ، وستزداد إيمانا ويقينا برسوخ هذه الشريعة فى أصول الاجتماع وأنها شرعة المجتمع الصالح فى كل زمان ومكان .

وهذا الديوان الذى وضعه الاسلام لمصارعة الفقر وللترفيه عن الفقير يتفجر عن اثنتى عشرة عينا ، ينال منها الفقراء بغيتهم وتأتيهم أرزاقهم على يد المعروف وفى ثوب الكرامة .

فاقرأ ما يتلى عليك من آى الديوان ، الذى أنزله العليم الخبير والقائم على كل نفس بما كسبت لتشهد بشهادة الحق أنه لا يصلح البشر ويقوم المجتمع سوى الاسلام وتعاليم الاسلام :

أولا — زكاة المال وزكاة التجارة وزكاة الزروع وزكاة الأنعام . حق معلوم ونصيب مفروض . قال الله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة . (سورة التوبة) وقال تعالى : والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم (سورة المعارج) روى الطبرانى عن على بن أبى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع أغنياؤهم ألا وإن الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا أليما .

ثانيا — صدقة الفطر وتسمى زكاة البدن لأنها واجبة على كل فرد مستطيع ولو لم يكن من أهل الصوم ، تدفع للفقراء والمساكين فى يوم عيد الفطر من كل عام . روى أبو داود والحاكم وابن ماجه على شرط البخارى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فرض رسول الله صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين ، فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات » .

ثالثا — كفارة اليمين لمن حنث فى حلفه بالله — قال الله تعالى : لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ، فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ماتطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة (سورة المائدة)

رابعا — كفارة الظهار — والظهار نوع من الطلاق حرمه الدين وأوجب على فاعله كفارة عظمى . قال الله تعالى : والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا — إلى أن قال الله : فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ، ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم (سورة المجادلة)

خامسا — كفارة الآثم بالافطار عمدا فى رمضان ، وهى كفارة عظمى تشبه كفارة الظهار — روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت يارسول الله . قال : وما أهلكك ؟ قال : وقعت على امرأتى فى رمضان . قال : هل تجد ماتعتق ؟ قال : لا . قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال لا . قال : فهل تجد ماتطعم ستين مسكينا ؟ قال لا . ثم جلس فأتى النبى صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تمر فقال تصدق بهذا — قال أفقر منا فما بين لا بتيها أهل بيت أحوج إليه منا . فضحك رسول الله حتى بدت أنيابه ثم قال : اذهب فاطعمه أهلك .

سادسا — الفدية فى رمضان لمن عجز عن الصوم لمرض لا يرجى برؤه أو لهرم

أو لمرضع أو حامل تخشى على نفسها أو ولدها — قال تعال : وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين (سورة البقرة)

سابعا — الغنائم الحربية ، وهى أموال الأعداء التى نستولى عليها بقتال . فللفقراء حق الخمس فيها — قال الله تعالى : واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل (سورة الأنفال)

ثامنا — الفىء — وهو المال الذى يؤخذ من الأعداء بدون قتال . فللفقراء كذلك نصيب الخمس . قال الله تعالى : ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم (سورة الحشر)

تاسعا — الفدية على الحاج إذا تمتع بالعمرة أو خالف واجبا من واجبات الحج . قال تعالى : وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك — الخ الآية (سورة البقرة) .

عاشرا — إذا حضر الفقير أو المسكين فى قسمة تركة من التركات فيعطى منها تطييبا لنفسه قال تعالى : وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا (سورة النساء) .

الحادى عشر — الصدقات العامة ، وهى الصدقات النافلة التى ليست بواجبة قال تعالى : خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها (سورة التوبة) وقال تعالى : فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى (سورة الليل)

وروى أحمد باسناد حسن عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ياعائشة اشترى نفسك من النار ولو بشق تمرة » .

الثانى عشر : الكنوز المدفونة فى باطن الأرض والمعادن ، ومال من لا وارث له ، واللقطة من الأموال ، وديات القتلى الذين ليس لهم وارث ، والمال المجهول كل أولئك يؤخذ خمسها للفقير والمسكين كما نص على ذلك فقهاء الأمصار .

بهذه المبادىء وعن طريق هذه الموارد فتح الاسلام باب البر على مصراعيه للفقير ينعم ويعيش آمنا فى ظل الاسلام، ومنها نعلم مبلغ عناية الاسلام بمشكلة الفقراء وأنه وضع الحل العملى لانهاء مشكلة الفقر. ولو أن المسلمين اتبعوا أحكام الاسلام ماوجدت بينهم بائسا أو محروما وما سمعت باسم الفقر وما تكونت دولة الفقراء.

وبعد: فيامعشر الأغنياء ويا كرام الأثرياء: كلمة نقولها لوجه الله خالصة ونسمعها لحضراتكم صادقة. فان أطعتم فذلك مانرجو من بركم، ونبغى من معروفكم وان أبيتم فالله أكبر. وما علينا إلا البلاغ، وعلى الله الحساب.

« يموج العالم اليوم بفتن المادية وفشت فيه فاشية الشيوعية وسرت إلى النفوس المذاهب الهدامة للسعادة، واشتعلت قلوب الفقراء حنقا، وامتلأت نفوسهم غيظا، وتفككت الروابط الاجتماعية، وأضحت الطبقات الدانية البائسة تنظر إلى الدنيا بمنظار أسود، وقد تهيأوا لإشعال النار فى هشيم النظام الاجتماعى، وجهروا بدخائل نفوسهم، وقامت لهم دولة تغذى هذه المبادىء السامة وتنشر هذه الضلالة، ويوشك أن يكون لها ضرام وأوار فاذا لم نتدارك هذا الأمر بتحقيق قانون الزكاة الاجبارى وتنظيم موارد الاحسان، وإقامة المؤسسات الاجتماعية، وإنشاء دور الكفالة، وإنعاش الفقير، وإعطاء العامل حقه، والقضاء على هذا الاضطراب النفسانى، وتنفيذ قانون التأمين الاجتماعى. ومراعاة العدل الاجتماعى بين هاته الطبقات. إذا تغابى الأغنياء عن ذلك وتغافل ولاة الأمور عن هذه الهنات التى ليست بهينات، فلننتظر هلاكا ودمارا وفناء وفسادا، وشقاء يذهب بهناءة الحياة وسعادة الدنيا ».

سليمان حسن عبد الوهاب
إمام وخطيب مسجد الميرى بالأسكندرية

(٣) الانسان الـكامل

وقد أصيبت « إسبرطة » قديماً بهذا النوع من التربية . الذى فرض على كل ابنـاء الوطن . تنفيذاً لأوامر المشرع « لكورغ » الأغـريقى . فانحطت نتيجة لذلك الأخلاق . وانحرفت الميول . وفسدت الأهواء . وفتحت الشهوات البدنية فمها الذى لايشبع ولا يقنع . وعدم الذوق والإحساس بالجميل من بديع الفن . وأصاب العلوم والمعارف جفاف وضيق وضعف . وأصبحت البلاد تعج بالجنود القوية المدججة . وأضحى المواطنون كلهم أبطالا محترفين . والويل فيهم لمن نال بدنه قليل من ضعف . فسرعان ماتبدد أشلاؤه . وتمزق أوصاله . دون رحمة أو شفقة . والهلاك والإبادة للطفل الذى يولد مشوها أو سقيماً . كان يؤخذ ليعدم . قبل أن يتمتع بنسائم الحياة .

هكذا كان الأمر فى اسبرطة ببلاد اليونان قبل الميلاد . وهكذا فى التاريخ الحديث . على يد الفيلسوف « نتشه » المتوفى سنة ١٩٠٠ م . فقد وصلت على يديه أخلاق القوة إلى مدى بعيد . وهو فى هذا متأثر بشوبنهور المتوفى سنه ١٨٦٦ م وقد حمل نتشه على العامة وأخلاقهم حملة شعواء . وأخذ يدعو بكل مافيه من جهد لأخلاق السادة الأقوياء . ممجداً القوة ومقدسا لها فى شخص البطل الذى لا يقهر أو الإنسان الكامل الذى لا يعرف الرحمة ولا الشفقة ولا العطف ولا الحنو ولا الحلم ولا التسامح ولا الصفح ولا التعاون ولا الصبر ولا الأحسان ولا الأيثار .

لأن كل ذلك من أخلاق الضعف والضعفاء . وها هو ذا نفسه يقول لأتباعه « إذا رأيتم متداعيا إلى السقوط فادفعوه بأيديكم وأجهزوا عليه . . . كل إنسان تعجزون عن تعليمه الطيران علموه على الأقل أن يسرع إلى السقوط » . وشجع على شره الحروب والاشتراك فيها . لأنها وسيلة من أقوى الوسائل الفعالة

فى تطهير الانسانية من الضعف وأهله . وقد استجاب لدعوة هذا الفيلسوف فى وطنه تابع أشعل نار الحرب العالمية الثانية . ورحمة الله وحدها هى التى جنبت الانسانية ويلات هذه الحرب القاسية . التى كادت أن تدمر العالم أجمع ، وتذهب بحضارته ومدنيته وعمرانه .

وكل ذلك استجابة لهذا الرأى الفائل . الذاهب إلى أن القوة المادية وحدها هى الحرية بالطلب . وأن الانسان لا يحتاج إلا إليها حتى يكون إنساناً كاملا . والويل كل الويل للعالم إن لم يثب إلى رشده . تاركا الفلسفة « النتشية » وما يقرب منها من فلسفة الذرائع . وفلسفة المنفعة الشخصية . وهذه الفلسفات تكاد تتقاسم العالم فى هذا العصر . فالنتشية فى المانيا وايطاليا . وقد رأت سوء مغبتها . والذرائع فى أمريكا . والمنفعة فى انجلترا إبتدأت بهوبز (١٥٨٨ — ١٦٧٩ م) وبعد مرمى بنتام (١٧٤٨ — ١٨٣٢ م) ، جون استيورات مل (١٨٠٦ — ١٨٧٣ م) .

* * *

فالهلاك والدمار للعالم . وللمدنيات والديانات . إن لم تبحث عن الانسان الـكامل من جديد بفلسفة جديدة تعطى الفكر حقه : من التفكير الحر . والنظر الصائب . والتأمل الهادىء .

والذوق حقه : من الشعور بالفن الجميل فى كل مظاهره .

والخـلق حقه : من التهذيب والتأديب حتى ينزع إلى كل ما هو فاضل وصالح من الأعمال

والبدن حقـه : من الطعام والشراب وحفظه والسهر على سلامته .

وذلك كله فى انسجام لا تنافر فيه . واتساق لا اضطراب معه . واعتدال لايشوبه طغيان فى أية ناحية من النواحى المـكونة للشخصية ... إن ظفرنا بتربية نفسية « بدنية » تخلق فينا التفـكير السليم والذوق الأدبى والخلق الفاضل والجسم القوى ... فقد ظفرنا بالطريق السوى (لتـكوين السوبر مان) . أو « الانسان

الكامل » أو « الفرد المثالى » أو « المثل الأعلى » أو « القوة الحسنة» . أو ما شئت أن تسمى وإذا دعونا إلى ذلك وألححنا فى الدعوة . وفصلناها ما وسعنا التفصيل وبيناها ما أسعفنا البيان . حتى يستجيب القادة للأخذ بهذه التربية فى أمتنا . والآباء فى منازلنا . والأساتذة فى مدارسنا . والأئمة فى مساجدنا . فأننا — لاشك — نكون شعبا . ونربى أمة ونخلق جيلا . يكون أسعد جيل عرفه التاريخ . يعرف لله قداسته . وللوطن حقه . ولشخصه كرامته .

صحيح أن ذلك اللون من التربية قد يصعب أو يعسر . ولكنه على النفوس المعتلة . والأبدان المنحلة . والعزائم الفاترة . . والهمم الخائرة . وهذا هو السبب فى ندرة وجود الانسان الكامل . على مسرح الحياة العامة . حتى صار البحث عنه وعن طريق إيجاده غاية الباحثين . من الفلاسفة والمتصوفة . والشغل الشاغل للمصلحين ، خاصة رجال الدين .

* * *

هذا هو رأيي فى الانسان الكامل . فان رأيته مغرقاً فى الصعوبة . مسرفاً فى البعد عن إمكانك . فلا تيأس . (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) بل رض نفسك على الأخذ به مع من تعول . وادع إليه بالحكمة والموعظة الحسنة متجاوزاً كل عقبة . . . متخطيا كل صعوبة . مردداً قول الشاعر .

ومن تكن العلياء همة نفسه   فكل الذى يلقاه فيها محبب

الدسوقى حسين سلام

خطيب مسجد الجزيرة بالقاهرة

السموات فى القرآن

قبل أن أشق عباب الأبحاث القرآنية فى هذا الموضوع يجدر بى أن أتعرض لرأى علماء الهيئة فى السموات وما وصل إليه علمهم ليكون القرآن بعد هذا حكما وله القول الفصل لدى العقلاء .

نبذة فى تاريخ علم الهيئة :

علم الهيئة وهو العلم الذى يبحث عن الأجرام السماوية من جهة أشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها وحركاتها وغير ذلك — علم تعرفه العلماء قديماً فقد اشتغل به الصينيون قبل الميلاد فى عهد الامبراطور — ياؤ — واشتهر المصريون به حتى تلقاه منهم فحول علماء اليونان مثل طاليس الذى ولد عام ٦٤٠ قبل الميلاد وفيثاغورث ، وأودوكس ، وأفلاطون — حتى قال البعض إن الكهنة المصريين كانوا يعرفون مالا يعرفه الفلكيون فى العصر الحاضر .

رأى بطليموس :

أول من اعتنى بهذا العلم بطليموس اليونانى الشهير . فقد جاء سنة ١٣٠ بعد الميلاد وجمع شتات قواعد العلم فى كتابه المجسطى الذى تسلمه الخليفة المأمون وكان سبباً لارتقاء العرب فى علم الهيئة ارتقاء عجيباً . كما وضع الجداول الفلكية وبين حركات القمر وغيره من الكواكب . ومن رأيه : أن الأرض ساكنة وسط الكون يستر الماء معظم سطحها وتحيط بالمجموع كرة الهواء ثم تحيط به كرة النار ثم يحيط بها فلك القمر ثم يحيط به فلك عطارد ففلك الزهرة ففلك الشمس ففلك المريخ ففلك المشترى ففلك زحل ثم يحيط بفلك زحل فلك عظيم ثامن قد ارتكزت فى سمكه جميع الكواكب الثابتة بأجمعها ويسمى فلك البروج ويحيط به فلك تاسع اسمه الأطلس ليس فيه نجم ولا نهاية لسمكه مالىء الفضاء كله ولا يعلم حده إلا الله

تعالى . وهذا الفلك التاسع دائم الحركة من الشرق إلى الغرب وتدور بحركته الأفلاك الثمانية بالأجرام التى فى جوفها ضرورة تحرك المظروف بحركة الظرف وبهذه الحركة شروق الكواكب والشمس والقمر وغروبها . أما أفلاك السيارات من القمر إلى زحل فتدور بالكواكب التى ارتكزت فيها من الغرب إلى الشرق بعكس حركة الفلك التاسع : ومن رأيه أيضاً أن الدخان اللزج الدهنى إذا تصاعد من أرضنا هذه واقترب من الكرة النارية المتصلة بفلك القمر ولم تنقطع مادته عن هواء الأرض أخذت النار تشتعل وتسرى فيه إلى آخر مادته . وهذا مايسمى بالشهب والمذنبات .

هذا هو الرأى البطليموسى ومنه يتبين أن السموات هى اجرام إذ هى أفلاك السيارات التى يريدها ـ ولكن ما حقيقة هذه الاجرام وما صفاتها وما خواصها ، لم يبين شيئاً من ذلك بطليموس .

ما دعا بطليموس إلى القول بأن السموات أجرام إلا تفهم الحركتين اللتين رآهما للكواكب السيارة حركة من الشرق إلى الغرب تشاركها فى ذلك جميع الثوابت ، وبها الشروق والغروب وحركة من الغرب إلى الشرق : ففكر فى التوفيق بين هاتين الحركتين ولم يسمح عقله بسوى هذا لأن حركة الأرض إذ ذاك كانت مجهولة .

رأى كوبرنيق :

ظهر بطلان رأى بطليموس عند علماء الهيئة حينما شاع رأى كوبرنيق المتوفى سنة ١٥٤٤م وأساس رأيه حركة الأرض والسيارات على محورها فى مدارات وهمية حول الشمس على هذا الترتيب : الشمس مركز يدور حولها نجم عطارد فالزهرة فالأرض فالمريخ فالمشترى فزحل : وبعد ذلك فضاء مجهول نثر الله فيه شموسا ثابتة على أبعاد شاسعة ورتب لكل شمس منها نظاما كنظامنا وهى كلها خاضعة لنظام الجذب بمشيئة البارى جل شأنه : أما الأقمار فهى أجرام كثيفة باردة

مظلمة تستمد نورها من الشمس وهى تابعة للسيارات تدور على محورها وحول السيارات . فقمرنا الذى يضيئنا ليلا تابع لأرضنا هذه

أما المذنبات فهى أجرام حارة منيرة تدور حول الشمس فى مدارات مستطيلة مقاطعة لأفلاك السيارات . والشهب هى أجرام صغيرة تدور حول الشمس وتتقاطع مع فلك الأرض فى نقطتين : والنيازك هى الكبيرة منها .

فلم يجعل كوبرنيق السموات أجراماً لأنه جعل الأفلاك مدارات وهمية ورجع عن قول بطليموس حينما ثبتت له حركة الأرض على محورها وفى مدارها. وأسند شروق الكواكب وغروبها إلى حركة الأرض المحورية . كما أسند حركة الشمس فى بروجها إلى حركة الأرض المدارية

خطأ كوبرنيق :

اشتهر رأى كوبرنيق بين العلماء من بعده لكن ظهر خطأ له فى مدارات الكواكب . إذ أنه فرضها دوائر تامة كالمتقدمين من قبله ، ولما بحث العالم الفلكى كبلر الجرمانى سنة ١٦٥٠ ميلادية حكم بأن مدارات الكواكب بيضاوية الشكل وأن الشمس ليست فى مركز الوسط تماماً . وحينما اخترع غاليله الايطالى المجهرات المكبرة والمقربة وتفرع منها أدوات كاملة للرصد . اكتشف العالم هرشل فى ١٥ مارس سنة ١٧٨١ كوكب أورانوس فى مداره بعد زحل ، كما اكتشف لوفبرييه . الفرنسى كوكب نبتون فى مداره بعد أورانوس وذلك فى ٣١ أغسطس سنة ١٨٤٦ — كما اكتشف كوكب فلكان سنة ١٨٥٩ فى مداره قبل عطارد — لافربير — أحد علماء الهيئة : ومع هذا كله قد وافقوا كوبرنيق فى أن مدارات الكواكب وهمية لاجرم لها وهى السموات .

رأى علماء الهيئة فى السموات بعد سنة ١٥٤٤

تمسك العلماء برأى كوبرنيق حتى فى أيامنا هذه . غير أن بعض المسلمين منهم أراد أن يوفق بين بعض آى القرآن ورأى كوبرنيق فأطلق السموات على

الكواكب معتمداً فى ذلك على اللغة ورأى بعض المفسرين .

فنى اللغة سماء كل شىء أعلاه . قال الشاعر فى وصف فرس :

وأحمر كالديباج أما سماؤه فريا وأما أرضه فمحول

وقال فخر الدين الرازى فى تفسير قوله تعالى : « وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم » قوله وأنزل من السماء ماء يقتضى نزول المطر من السماء وليس الأمر كذلك . فإن الأمطار إنما تتولد من أبخرة ترتفع من الأرض وتتصاعد إلى الطبقة الباردة من الهواء فتجتمع هناك بسبب البرد وتنزل بعد اجتماعها وذلك هو المطر — والجواب — أن السماء إنما سميت سماء لسموها فكل ما سماك فهو سماء فإذا نزل من السحاب فقد نزل من السماء .

وقال فى تفسير قوله تعالى : إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش » إن السماء عبارة عن كل ما ارتفع وسما وعلا والدليل عليه أنه سمى السحاب سماء حيث قال — وينزل من السماء ماء ليطهركم به — وإذا كان الأمر كذلك فكل ما له ارتفاع وعلو وسمو كان سماء .

القرآن ودلالاته :

معلوم أن القرآن الكريم لم يجىء كغيره من الكتب السماوية لشرح الأكوان شرحا طبيعياً ولم يتعرض لفحص ما فيها من العناصر . بل غاية الأمر أنه تعرض للنظام الشمسى وما اشتمل عليه من حيث ما فيه من اشارة وبرهان على قدرة الله تعالى ووحدته . وما اشتمل عليه من اتقان تدبيره وعظيم نعمته . وما يرشد إليه من عجز ما سواه وانفراده بعظمته

وهاك آيات تعرض فيها المولى إلى أشياء كثيرة لا لبيان حقيقتها بل لما تدل عليه من وحدانية وعظمة « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار »

هكذا سنة الله فى كتابه . فصل وبين الأحكام الشرعية بأوضح بيان. وتعرض لكل شىء من الكائنات من حيث ما فيها من برهان . سبحانه جل من قائل : ما فرطنا فى الكتاب من شىء »

دلالة القرآن على السموات :

إن القرآن الكريم قد تعرض للسموات أكثر من غيرها . لما فيها من جلال صنعه وبديع حكمته وعظيم قدرته

وإذا نظرنا فى آيات السموات نظرة منصف لا يقلد الغير فى قول . علمنا أن كلام الأوائل أساسه التخمين لا ينظر فيه قوم إلا خطئوا من قبلهم . فأقوالهم جميعاً « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً »

إذا نظرنا هذه النظرة الصادقة علمنا أن ما يستفاد من هذه الآيات هو ما يحترمه الدين وتطمئن إليه العقلاء . لأن أساسه كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »

وجود السموات :

لا سبيل لإنكار السموات فقد جاءت بها الديانات كلها ونطقت بوجودها الكتب السماوية جميعها حتى أصبح وجودها من البديهيات التى لا ينكرها عاقل « أو لم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج »

حقيقة السموات :

لا يستطيع إنسان أن يصل إلى حقيقة السموات مهما فكر وسطر ونظر فى مجهراته واستعان بآلاته . إذ لا يحيط بذلك إلا علم فاطرها وخالقها ، فيجب الاقتصار على الدلائل السمعية التى تكشف عن صفاتها لا حقيقتها

ونحن إذا تتبعنا الآيات القرآنية نجدها تبطل الأقوال الثلاثة السالفة فى السموات بصريح العبارة . فنعيدها بطريق الإجمال ثم نعود عليها بآيات الإبطال.

السموات ليست هى الكواكب :

قال قوم بأن السماء تطلق على كل ما علا وسما فجعل السموات هى الكواكب

لعلوها وسموها معتقداً أنه قد أتى بما لم تأت به الأوائل من التوفيق بين رأى كوبرنيق السابق وبعض آيات من القرآن

ولو رجع هذا القائل إلى رشده لعلم خطأه — حيث جعل رأى كوبرنيق أساساً وتأول فى القرآن حتى وافقه ، وكأنه جعل البرهان على صحة رأى كوبرنيق صدوره عن كوبرنيق ، وربما كان هذا الرأى عند صاحبه وهما وخيالا

ولو تفهم هذا القائل قوله تعالى : إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » الدال على أن المزين غير مابه الزينة — وقوله تعالى : « إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت » الذى يفيد تمام المغايرة بين السماء والكواكب — وقوله تعالى : إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت إلى أن قال وإذا السماء كشطت» الواضح فى أن الكواكب غير السماء : وقوله تعالى : وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً » الناطق بأن الظرف غير المظروف

لو تفهم هذه الآيات وأمثالها ما زعم أن السموات هى الكواكب ولعلم أن القرآن هو الذى يجب أن يتخذ أصلا ولا يعتد بغيره .

ولست بمخطئه فى إطلاق السماء على كل ما سما وعلا ، ولكن الفرق ظاهر بين صحة الإطلاق لغة وبين السموات التى نريد بيانها ووصفها ، وإلا فنحن متفقون على أن كل سقف يسمى سماء ولكن ليس هو أحد السموات .

السموات ليست مدارات وهمية تدور فيها الكواكب :

فكر كوبرنيق فى الأفلاك وهى السموات فحكم بظنه وخياله أنها فضاء تدور فيه الكواكب والله تعالى يكذب ذلك بآيات كثيرة حيث يقول :

« يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب » قال الراغب الاصفهانى فى غريب القرآن فى مادة طوى — طويت الشىء طيا وذلك كطى الدرج وعلى ذلك قوله يوم نطوى السماء كطى السجل : وفى مادة سجل — السجل قيل حجر كان يكتب فيه ثم سمى كل ما يكتب فيه سجلا — قال تعالى كطى السجل للكتب . أى كطيه لما كتب فيه حفظا له .

أقول إن الذى يتصف بهذا هو الجسم لا الفضاء، ويقول الله تعالى: فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان» الانشقاق الذوبان والخراب والمعنى عند تخرب السماء تكون حمراء ذائبة كالزيت العكر، كما فى قوله تعالى: يوم تكون السماء كالمهل» فهذه الصفات تختص بالأجسام ولا تكون وصفا للفضاء ويقول الله تعالى «فارجع البصر هل ترى من فطور» أى من فروج وشقوق وصدوع — ولا يقال ذلك إلا فيما يقبله ولا يقبل التصدع إلا الجسم لا الفضاء إذا السماء انفطرت — السماء منفطر — مما يدل صراحة على أن السموات أجسام ويقول الله تعالى: «وفتحت السماء فكانت أبواباً» فهل يفتح إلا الجسم — «إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت» أى انقادت وخضعت للتفريق من غير ممانعة —. فهل يخضع لهذا إلا الجسم لا فضاء كوبرنيق وأنصاره.

السموات اجرام لا كما يقول بطليموس:

يقول بطليموس إن الأفلاك وهى السموات أجسام تدور بالكواكب التى التصقت بها، وان الشهب والمذنبات كائنات من أدخنة الأرض الدهنية عند وصولها كرة النار، وحينما رأى كوبرنيق خطأ بطليموس فى حركة الأفلاك؛ وما زعمه من منشأ الشهب والمذنبات. شن عليه الغارة وخطأه فى مذهبه كله وكان كوبرنيق استدل بعدم رؤية السموات على عدم وجودها، وهذا من الخطأ بمكان لأنا نقول. إن السموات أجسام شفافة يرى ما وراءها وما فيها ولا ترى هى وأنه لا حركة لها بل الحركة للكواكب نفسها كما يقول المولى جل وعلا «وكل فى فلك يسبحون؛ والسابحات سبحا؛ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم» وأنها قابلة للخرق والالتئام حيث لم يرد ما يدل على عدمه، فتسمح بمرور المذنبات حيث إن مداراتها مقاطعة لمدارات الكواكب.

وأما حقيقة السموات وبيان مادتها من جميع الوجوه فشىء لا يعلمه إلا الله تعالى. وأما ما يذكره بعض الأخباريين من أن السماء الأولى من فضة والثانية من ذهب إلى آخر ما قالوا فهى أخبار إسرائيلية لا يلتفت إليها ولا يتمسك بها: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا»

صفات قرآنية للسموات :

السموات كرات وطبقات بعضها فوق بعض ولها سمك سميك :

يقول الله تعالى : الذى خلق سبع سموات طباقا » أى طبقة فوق طبقة ، أى أن السموات ليست موجودة فى مستوى واحد بل بعضها فوق بعض .

ويقول الله تعالى : أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسواها » السمك بعد الشيء من أسفل إلى أعلا — وفى تفسير فخر الدين الرازى . المراد من قوله فسواها تسوية تأليفها وهذا يدل على أن السماء كرة وإلا لكان بعضها زاوية وبعضها سطحا وبعضها خطا وبعضها أقرب إلينا فلا تكون التسوية الحقيقية حاصلة . فوجب أن تكون كرة تحقيقاً للتسوية الحقيقية : —

السموات وعددها :

اتضح من الاكتشافات الأخيرة أن الكواكب عشرة — السبعة المشهورة قديما فى قولهم .

زحل شرى مريخه من شمسه فتزاهرت لعطارد الأقمار

وفلكان . أورانوس . ونبتون . وكل له فلك يدور فيه حول الشمس إلا القمر فإنه يدور حول الأرض على رأى كوبرنيق

أقول ولا مانع من ظهور كواكب أخرى . إذ لا يعقل أن الانسان قد اطلع على كل مافى العلويات ، وعلى ذلك تكون الأفلاك حول الشمس تسعة وتحتمل الزيادة حسب الكواكب التى تكتشف

ويقول فخر الدين الرازى فى تفسير قوله تعالى : هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم » فإن قال قائل فهل يدل التنصيص على سبع سموات على نفى العدد الزائد . قلنا الحق أن تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفى الزائد .

أقول ما دعا هذا المفسر إلى هذه الفلسفة إلا المبالغة فى ان القرآن يؤخذ منه

كل علم . وهذا قول باطل ، فإنه كتاب دينى لا صناعى ولا فلسفى . جاء بجميع ما تحتاجه العقيدة الحقة والتكاليف الصحيحة ، وذكر عدد السموات فى جملة آيات فى مقام البيان يفيد الحصر . فإن جعل المفسر القول بكثرة الكواكب عن عدد السموات أصلا ! فلم يثبتوا أن الكواكب تسير فى نفس السموات حتى يلزم تعددها بتعدد الكواكب . وتكون هى الأفلاك . وإنما هى تسير بينها ، كما لم يثبتوا أن بين كل سماءين كوكباً واحداً — فلا تكون الأفلاك (مدارات الكواكب) هى السموات وتكون الأفلاك كثيرة والسموات سبعا مهما اكتشف من الكواكب .

حقيقة وختام :

قد تخيل بطليموس بما تخيل وخطأه كوبرنيق وغيره بما كشفت لهم المجهرات والآلات المستحدثة — ولكن القرآن الكريم قد اطلعنا بمجهرات آياته ومستحدثات معجزاته على ما وصل إليه علماء الهيئة من حقيقة لا أوهام .

ولعمرى إن أخبار القرآن غدت من كثرة الموافقة للمكتشفات المستحدثة توهم أن المكتشفين أخذوا آراءهم من الدين الإسلامى لولا استنادهم إلى الآلات فياحبذا لو أخذنا القرآن الشريف أساسا لهذه العلوم نستعين باشاراته إلى كل مكتشف حديث .

ويا حبذا لو توافرت لدينا الآلات والأدوات الفلكية التى تحقق لنا كل مكتشف بديع فى ضوء الإشارات القرآنية لكنا قدوة حسنة للغربيين.

ولكن يقلب الله الليل والنهار . ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار ؟

أحمد جاد

امام وخطيب ومدرس مسجد
الشيخ سلامه — بسمنود
غربية

الفلاسفة الاسلاميون

(٣) بين المعتزلة والأشاعرة

مدى تأثير الفلسفة على المعتزلة :

انتهينا فى مقالنا السابق إلى معرفة الأسباب التى حملت رجال المعتزلة على دراسة الفلسفة، وفى هذا المقال نريد أن نبين مدى تأثير الفلسفة فيهم، وهل صاروا بهذه الدراسة فلاسفة بالمعنى الكامل للفلسفة ، أو أنهم لم يخرجوا بهذه الدراسة عن أن يكونوا رجال دين ، ولم يكن لهم غاية من دراسة الفلسفة إلا أن تكون سلاحا يدافعون به عن عقيدتهم الدينية ؟

(١) معنى الفلسفة :

قبل أن نجيب على هذا السؤال يجب أن نحدد معنى الفلسفة حتى يكون حكمنا صحيحا إن كلمة « فلسفة » ليست عربية الأصل ، وإنما هى منقولة من اليونانية حين اتجه المسلمون لترجمة المعارف والعلوم الأجنبية ، وكان من بين ماترجم « الفلسفة اليونانية » . وعلى ذلك إذا أردنا أن نبحث عن أصل هذه الكلمة فإنما نبحث عنها فى لغتها . يقول المعنيون بالدراسات الفلسفية : إن كلمة « فلسفة » فى اللغة اليونانية التى هى أصلها ليست مفردة ، وإنما هى مركبة من كلمتين ، هما « فيلو » بمعنى محبة ، و « سوفيا » بمعنى حكمة أو معرفة ، وامتزجت الكلمتان معا هكذا « فيلوسوفيا » أى محبة الحكمة وصار المشتغل أو المحب للحكمة أو الراغب فيها يعرف باسم « فيلوسوفوس » وعمله هو « الفيلوسوفيا » . ويقال إن هذا الإطلاق على كل مشتغل بتحصيل المعارف إنما هو من وضع فيثاغورس الذى عاش فى القرن السادس قبل الميلاد واما قبل هذا الوضع فكان يطلق على المشتغلين بمعرفه علل الكون ومبادئه الأولى اسم « سوفوس » أى حكيم ، ولكن « فيثاغورس » استكثر إطلاق هذا الاسم على من يطلب تحصيل المعرفة ، وقال :

إن الحكيم هو الآله وحده ، وما أنا إلا فيلسوف أى محب للحكمة ، ولما ترجمت هذه الكلمة إلى اللغة العربية قالوا « فيلسوف » ، و « فلسفة » وقالوا تفلسف ، ومتفلسف وأصبحت كلمة « فلسفة » مرادفة فى اللغة العربية لكلمة « حكمة » وكلمة « الفيلسوف » لكلمة « المشتغل بالحكمة » هذا أصل الكلمة فى اللغة اليونانية ،ومن هنا نرى أنها كلمة دخيلة على اللغة العربية مع المعارف اليونانية التى كانت تطلق عليها فى لغتهم ، ثم إنها لما نقلت إلى اللغة العربية بقيت مستعملة فى المعنى الذى كان يقصده منها اليونان . ولهذا نحب أن نبين المعارف التى كانت تدل عليها فى أصلها حين ترجمها العرب إلى لغتهم حتى نعرف بالضبط المعنى الذى كان يفهمه منها العرب وقت ترجمتها .

(ب) المعارف التى كانت تدل عليها الفلسفة :

لقد اختلفت المعارف التى كانت تدل عليها هذه الكلمة عند اليونان باختلاف غايتهم من البحث فى الكون وباختلاف موضوع البحث ووسيلته ، فمثلا كان موضوعها من طاليس (٦٢٤ — ٥٤٦ ق . م) إلى هرقليطس (٥٤٠ — ٤٧٥ ق . م)، ثم مرة أخرى من أبنادوقليس(٤٩٣ — ٤٣٣ ق . م)إلى ديموقريطس (٤٧٠ — ٣٦١ ق . م) هو الكون الطبيعى فقط ، ثم اتجهت اتجاها إنسانيا على يد السوفسطائيين (٤٨٠ — ٣٧٥ ق . م) لما رأوا الاختلافات الكثيرة بين الطبيعيين . ولما جاء أفلاطون (٤٢٧ — ٣٤٧ ق . م) ، ثم تلميذه أرسطو (٣٨٥ — ٣٢٢ ق . م) اتسع موضوع الفلسفة وأصبحت شاملة لكل المعارف الإنسانية من البحث عن العلة الأولى لهذا الكون ، والفلسفة الباحثة عن هذا تسمى الفلسفة الآلهية أو « العلم الأعلى » أو « مابعد الطبيعة » وقد ترجمها العرب باسم ماطافوسيقا ثم البحث عن هذا الكون المادى ، وتسمى الفلسفة الطبيعية أو « العلم الأدنى » . وقد ترجمها العرب باسم « فوسيقى » ، ثم اتسعت كذلك للبحث فى المقادير وهى الفلسفة الرياضية ، وتسمى « ماطيما طيقا » . وهذه الثلاثة تسمى الفلسفة النظرية . ولكل منها أصول وفروع . وأما الفلسفة العملية فهى التى تبحث فى الإنسان من

حيث كونه شخصا منفردا ، أو من حيث كونه عضوا فى أسرة ، أو من حيث كونه عضوا فى مدينة أو مجتمع ، فالأولى منها تسمى « الحكمة الأخلاقية أو علم الأخلاق » وعربها العرب باسم « إيثيقا » والثانية تسمى « تدبير المنزل أو الحكمة المنزلية » . والثالثة تسمى « السياسة المدنية أو الحكمة السياسية » وعربها العرب باسم « بوليطيا » .

إن الفلسفة التى اتسع موضوعها وأصبحت شاملة للبحث عن العلة الأولى للكون ، ثم البحث عن الكون نفسه ، ثم البحث عن المقادير والتى تسمى « الفلسفة النظرية » وكذا التى تبحث عما يتصل بالإنسان من نواحيه الثلاث الخلقية والمنزلية والسياسية ، وتسمى « الفلسفة العملية » . وهى الفلسفة اليونانية من عهد أفلاطون وتلميذه أرسطو ، إن هذه الفلسفة هى التى عرفها العرب . والآن يمكن أن تقول : إنه تحدد واتضح لنا المعارف والموضوعات التى كان يطلق عليها اسم الفلسفة حين ترجمها العرب إلى لغتهم . بقى أمر آخر نحتاج إلى معرفته للحكم على المعتزلة حكما صحيحا هل هم باتصالهم بالفلسفة ومعرفتهم إياها يعدون من بين رجال الفلسفة ، أو أنهم رغم هذا من علماء الكلام لا من الفلاسفة ؟

أما ذلك الأمر فهو معرفة الفرق بين الفلسفة وعلم الكلام ، وحيث إننا عرفنا ما يقصد بالفلسفة فإنه أصبح سهلا علينا معرفة الفرق بينهما إذا بينا فى إجمال ماهو علم الكلام ، وبذلك يصبح حكمنا على المعتزلة الذى أشرنا إليه حكما صحيحا ، ويكون بحثنا ناضجا ومفيدا ، وبما أن أقرب أنواع الفلسفه إلى علم الكلام هى « الفلسفة الآلهية » أو « العلم الأعلى » أو « ما بعد الطبيعة » دون باقى أنواعها التى ذكرناها فإننا سنبحث الفرق فقط بين هذا النوع من الفلسفة وبين علم الكلام .

(ج) الفلسفة الآلهية وعلم الكلام :

أما الفلسفة الآلهية فإن موضوعها كما تقدم البحث عن العلة الأولى لهذا الكون ، أو علة العلل ، أو عن مثال المثل كما يقول أفلاطون ، أو عن المحرك الأول كما قال أرسطو ، أو عن الروح الكلى لهذا العالم كما يقول الرواقيون أو بتعبير

أدق « النار الكلية » . أما علم الكلام — كما هو معروف للمسلمين — فهو العلم الذى يبحث عن الله سبحانه من حيث ما يجب له وما يستحيل وما يجوز ، وعن الرسل من حيث مايجب لهم وما يستحيل وما يجوز ، وعن الآخرة من حيث ما يتعلق بالثواب والعقاب والجنة والنار والبعث والنشور وأحوال القيامة وجميع السمعيات من الصراط والميزان الخ من هذين التعريفين يظهر الفرق بين الفلسفة الآلهية وعلم الكلام ، وذلك أن البحث عن الإله أو عن العلة الأولى فى الفلسفة إنما هو بحث غير معلوم ، ثم يصبح معلوما بعد نهاية البحث ، وعلى حسب المنهج الذى يسلكه الفيلسوف تكون النتيجة التى يصل إليها ، ولهذا لم يتفقوا فى النتيجة التى يوصل إليها بحث كل منهم كما رأينا فى تعريف الفلسفة الآلهية عندهم . وهذه ناحية من نواحى الفرق بين علم الكلام والفلسفة حيث إنه ظهر لنا من تعريف الكلام أن أبحاثه مبنية على التسليم بوجود إله وأن له صفات واجبة وصفات يستحيل عليه الاتصاف بها ، وصفات يجوز اتصافه بها ، وكذلك الرسل التى أرسلهم لعباده مبشرين ومنذرين ، وإنما علم الكلام فقط يقيم الأدلة العقلية — بعد إثبات ما فيه بالأدلة النقلية — على صحة ما كلفنا بالإيمان به . فالفرق بين علم الكلام والفلسفة أن موضوعه معلوم ،وقد قال بعض علماء الكلام إن موضوعه المعلوم من حيث ما يجب وما يستحيل وما يجوز لله ولرسوله صلوات الله عليهم وأما موضوع الفلسفة الآلهية فمجهول ثم يصبح معلوما ، وقد لايوصل إليه البحث فيبقى مجهولا كما هو .

هناك ناحية أخرى وهى أن علم الكلام يبحث عما يجب للرسل وما يستحيل وما يجوز وكل ما يتعلق بما يعرف عندنا بالسمعيات بخلاف الفلسفة الإلهية لأنها لاتقوم على الإيمان برسالات ولا بسمعيات وكما أنهما يختلفان فى الموضوع فإنهما يختلفان كذلك فى منهج البحث . فمنهج البحث فى الفلسفة الإلهية لايتقيد بشىء ، فالباحث فيه لايؤمن بشىء ، وإنما هو يبدأ بمنهج خاص به خال عن التأثر بأى مؤثر حتى ولا بأبحاث من تقدمه من الفلاسفة . وأما منهج الباحث فى علم الكلام

فهو مقيد بالإيمان بما أوجب عليه دينه الإيمان به . ولهذا هو يسير فى بحثه وينهج فى منهجه على هذا الأساس . ولا شك فى الفرق بين المنهجين. بقى بعد ما تقدم من معرفة الفرق بين الفلسفة الإلهية وعلم الكلام فى الموضوع والمنهج لصحة حكمنا على المعتزلة ـ بقى بعد هذا أن نعرف منهج المعتزلة فى البحث هل يتفق مع منهج الفلاسفة حتى يكونوا فلاسفة أو يتفق مع منهج المتكلمين وبهذا يكونون من المتكلمين لا من الفلاسفة ؟

(د) منهج المعتزلة فى البحث :

لقد بينا فى أحد مقالينا السابقين كيفية نشأة فرقة « المعتزلة » وأنها خلاف نشأ بين الأستاذ الحسن البصرى وبين تلميذه واصل بن عطاء على مرتكب الكبيرة ، وأن التلميذ ذهب فى هذا إلى غير رأى أستاذه ، وأن مرتكب الكبيرة لا كافر ولا مؤمن وإنما هو فى منزلة بينهما ، ويسمى « فاسقا » لا منافقا كما قال أستاذه من هذا نرى أن هذه الفرقة حين ابتدأت لم يكن كلامها فى التوحيد الخالص ، وإنما كان يدور حول المسائل الخلافية فى عصرها التى كان من بينها الخلاف على مرتكب الكبيرة ، والتى كان من بينها كذلك الحكم على صفات الله التى ابتدأ الكلام فيها على يدى جهم بن صفوان وغيلان الدمشقى اللذين كانا يذهبان إلى التنزيه المطلق فيها ويؤولان الصفات الثبوتية منها إلى ما يريان ، ولما جاء واصل بن عطاء رأس المعتزلة قال بنفى بعض الصفات الثبوتية ، أى التى تثبت معنى زائدا على الذات ، وذلك أنه يجب أن تكون صفات البارى سبحانه قديمة ، لأنه لا يصح أن يتصف بالحوادث ، وإذا كانت صفاته قديمة — وهى معنى من المعانى — تعدد القدماء وتعدد القدماء باطل ، لأنه يؤدى إلى الشرك ، وهذا كفر. لهذا نفى واصل الصفات الثبوتية ، ولكنه لم ينف ما تستلزمه من الكمالات التى تجب له سبحانه ككونه عالما وقادرا . . الخ وهكذا سار جدل المعتزلة حول المسائل الخلافية التى كانت شائعة فى عهودهم المختلفة والتى كانت تظهر كلما ازداد اتصال المسلمين

بالأمم الأجنبية، ومن دفاع المعتزلة عن المسائل الخلافية التى كانوا يقررون لهم فيها رأيا خاصا تكونت مبادئهم وآراؤهم التى عرفت باسمهم ، ومن ذلك يظهر لنا أن المعتزلة كان لهم منهج خاص هو الدفاع عن آرائهم التى كانوا يعتقدون أنها تتفق مع المبادىء الكلية للدين الإسلامى ، فكأن منهجهم لا يتفق مع منهج الفلاسفة الذين يجردون أنفسهم أولا عن الايمان بأى شىء ، ثم يؤمنون بما أوصلهم إليه بحثهم كما تقدم . فالمعتزلة يومنون ثم يدافعون عما آمنوا ، والفلاسفة لا يؤمنون ثم يبحثون حتى يصلوا إلى ما يؤمنون ، وقد ينقضى البحث ولا يؤمنون إلا أن موقف المعتزلة لما كان موقف المجادلين والمدافعين من بدء نشأتهم فإنه جعلهم ينظرون فى كل شىء فى سبيل هذه الغاية ، ومرنوا على هذا الجدل حتى أصبحوا يعرضون كل شىء على عقولهم مادام لم يرد فيه نص صريح من الشارع ووثقوا فى عقولهم حتى صاروا يختلفون فى كثير من المسائل التى لم يرد فيها نص، حتى تعددت آراؤهم فى المسألة الواحدة . فمن هذه الناحية فقط يمكننا أن نقول إن فيهم شبهاً بالفلاسفة وليسوا فلاسفة . وأما أنهم أقرب إلى الفلاسفة أو إلى المتكلمين فهذا ما نرجئه حتى يكتمل البحث جميع أطرافه التى يستلزمها هذا الحكم . وهو ما أردنا أن نكتب هذا البحث لأجله .

(ه) النتيجة : وبعد ماتقدم ظهر لنا أن المعتزلة بدراستهم الفلسفة لم يصبحوا فلاسفة بالمعنى الفنى الكامل لهذه الكلمة ، لأن غايتهم من دراستها لم تكن للفلسفة فى ذاتها ، وإنما كان للدفاع فقط عن العقائد الإسلامية ضد الأمم غير الإسلامية التى كانت لها ثقافات فلسفية كما ذكرنا ذلك فى مقالينا السابقين، وإن كانت دراستهم للفلسفة لم تخل من التأثير عليهم حتى جعلت فيهم حب الحرية فى البحث ، وقوة الجدل فى الخصومة ، وفى مقال تال سنتحدث إن شاء الله عن موقف الطوائف الأخرى من المعتزلة الذين لم يسلموا من تأثير الفلسفة عليهم ثم مدى حريتهم الفكرية

على مصطفى الغرابى
المدرس فى كلية أصول الدين

همسات فى آذان الشباب :

لمحات عن أبى بكر (٢)

فتاة مسلمة :

مما يدلك على أن أبا بكر قد ربى أولاده البنين والبنات تربية قويمة كريمة ، أنه لما خرج مع النبى مهاجراً ، وأخذ معه ماله كله ، وكان كثيراً يعد بالآلاف ، جاء والد أبى بكر ، واسمه أبو قحافة ، وكان شيخاً ضريراً ، إلى منزل أبى بكر وفيه بنته أسماء ، فقال لها جدها : يا بنتاه ! ... أظن أن أباكم قد فجعكم فى ماله فأخذه معه ، كما فجعكم فى نفسه برحيله عنكم مع محمد ؟ ! . . .

وكانت أسماء فتاة عربية مسلمة مؤمنة ، فصمتت قليلا تفكر فى حيلة تدخل بها الطمأنينة على قلب جدها ، فهداها الله إلى ذلك بسرعة ، فقالت لجدها ، لا ياجدى ، لقد ترك لنا أبى مالا كثيراً . . . ثم قامت مسرعة فى خفة وحذر ، فجمعت كومة من الحصى ، ووضعتها فى كوة (طاقة) وغطتها بغطاء سميك ، ثم عادت لجدها وقالت : تعال ياجدى لأريك المال الذى تركه لنا أبى ! . . ثم قادته من يده إلى الكوة ، ووضعتها فوق الكومة ، وأخبرته أن هذا مال ، فاطمأن الشيخ الضرير ، وأغنى الله فعلا أسرة أبى بكر ، فلم يحتاجوا إلى أحد من الناس ، فاستوى عندهم الحصى والجواهر ! ...

ذات النطاقين :

وأسماء هذه هى التى تسمى فى السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى بلقب « ذات النطاقين » ، فهل تعرف لماذا لقبت بذلك اللقب أيها الشاب ؟ . . .

إنها لحادثة طريفة رشيدة ، فقد كانت أسماء رضى الله عنها تنقل الطعام والزاد خفية إلى رسول الله وأبيها أبى بكر وهما فى الغار ، وفى اليوم الأخير الذى عزما

فيه على استئناف الرحلة إلى المدينة دار النصرة ومقر الهداية ومركز القيادة ، لم يجدا أربطة يربطان بها الأمتعة ، فنزعت أسماء نطاقها ، وهو حزام من الجلد تشده المرأة فى وسطها ، ثم شقته نصفين ، فربطت بالنصف الأول فوهة الحقيبة التى كان فيها طعام النبى صلى الله عليه وسلم ، وربطت بالنصف الثانى القربة التى كان فيها ماء شربه ، فسميت لذلك « ذات النطاقين » ؛ وهو لقب كريم يذكر الناس بموقفها النبيل فى نصرة الإسلام وتضحيتها بوسائل زينتها فى سبيل عقيدتها ! . .

ما بالك يا أبا بكر:

استأنف الرسول السير إلى المدينة مع صاحبه وخليله ، فإذا بأبى بكر يتصرف تصرفا يستدعى العجب . . . إنه يتقدم رسول الله بخطوات فيسير أمامه ، متلفتا فى عناية جهة اليمين وجهة الشمال ومتطلعا إلى الأمام ، ثم هو ينتقل فجأة وبسرعة فيسير خلف رسول الله ، متلفتا إلى جانبيه تارة وإلى الوراء تارة أخرى ! !

لم هذا ؟ .. أتستطيع أن تفكر وتجيب أيها الشاب ؟!. لا تتعب نفسك ، فقد سأل النبى أبا بكر عن ذلك ، فأجابه رضى الله عنه بأنه يخاف ويخشى أن يكون هناك فى أثناء الطريق كمين يكمن لرسول الله ليلحق به الأذى ، أو يصيبه بمكروه ولذلك فهو يتقدم فيسير أمامه ، حتى إذا وجد شيئا من ذلك قابله أولا ، وفدى رسول الله بنفسه ! ! . . ثم هو يعود فيخاف ويخشى أن يكون وراءهما من يقتفى أثرهما ، ومن يطلب اللحاق بهما ، للقبض على رسول الله وإرجاعه إلى الكفار لينفذوا فيه ما تواطئوا عليه من خديعة وغدر ، ولذلك فهو يعود فيتأخر حتى يكون خلف النبى ، ليدفع عنه ما يفاجئه من أذى ، أو يتابعه من مكروه ! ! .

أعرفت سبب هذا الاضطراب ؟ . أأدركت سر هذا التردد ؟ . أرأيت كيف كان أبو بكر مثال الصديق الوفى ، والصاحب الصالح ، والرفيق المخلص ، والتابع الأمين ؟ ! .

ليس غريبا بعد هذا أن يكرمه النبى أحسن تكريم ، وأن يدعو له الله مرات

ومرات ، أن يجعله فى أعلى عليين من جنات النعيم ، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ! .

ليت كل صديق اليوم يدقق جيداً ويفكر طويلا فى هذه الصداقة السامية العالية الطاهرة ، ليقتبس منها ويهتدى بضوئها ، حتى يعم الصفاء والوفاء بين الخلان والأصدقاء ! .

شجاع فى مواطن الجهاد :

لقد كان أبو بكر فى ظاهره رجلا هادئا ساكنا ، تعلوه الهيبة والوقار ، وتحف به السكينة والهدوء ، وتلوح مشيته مشية شيخ مهيب ، ويبدو صوته صوتا رقيقا حزينا ، وكان إذا دعى أو استغفر أو تعبد ظهر عليه الخوف والخشية ، وقد تسيل دموعه هيبة من الله عز وجل ، ولهذا ظن بعض الجهلاء ، وتوهم بعض الغافلين أن أبا بكر هذا رجل لا يصلح لجهاد ، ولا يثبت فى مواطن البأس والشدة ولكن هذا ظن باطل ووهم كاذب ، فقد كان أبو بكر ، متواضعا لرب العالمين ، جباراً على العاصين ، وكان شجاعا مع رقته ، وجريئا مع سكينته ، وكان إذا جد الجد ، ودعا داعى الكفاح ، وحانت ساعة الجهاد ، ينقلب بطلا من الأبطال ، وقائداً من مغاوير القواد ، فهو وإن كان راهبا عابداً قانتا بالليل ، يصبح فارسا مقداما من فرسان الله بالنهار ! . . وإليك الدليل :

حينما بدأت غزوة بدر ، وهى أول غزوة فى الإسلام ، وكانت أول امتحان عصيب للمجاهدين من المسلمين ، رجا المسلمون النبى أن يبنوا له عريشا فى آخر الجيش ، ليجلس فيه ويراقب المعركة منه ، وقالوا له إذا انتصرنا كان هذا ما أردنا وما أحببنا ، وإن قتلنا فى سبيل الله ، رجعت إلى من بقى من المسلمين فى المدينة فألفت منهم جيشا ، ورجعت به لمحاربة الكافرين ! .

ولا شك أن هذا العريش كان هدفا مقصوداً من الكفار كلهم ، وكان أكبر شىء يطمعون فيه هو أن يقتلوا النبى ليستريحوا منه ويقضوا على دينه العظيم ،

ولا شك أن حراسة هذا العريش كانت مهمة شاقة قاسية ، ولكن الصحابة حينما تشاوروا فيمن يحرس وتراجع أبطال المسلمين خشية من هذه التبعة، تقدم أبو بكر البطل الشجاع ، ليقوم بهذه المهمة الخطيرة ، وهو يعلم أن مئات من الكافرين سيجعلون العريش هدفا لهم ، وسيحاولون أن يصوبوا السهام والرماح والسيوف إلى هذا العريش ؛ وحقا لقد قام بمهمته خير قيام ، وحرس رسول الله أفضل حراسة ، وبذلك علم أبو بكر الناس أن الرجل الهادىء الوقور يستطيع أن ينقلب عند اللزوم بطلا صنديداً ومجاهداً مجيداً .

يتنافسون فى الخير :

نحن نفتخر اليوم بأشياء كثيرة ، فمنا الذى يفتخر بأنه أغنى من سواه ، ومنا الذى يفتخر بأن ملابسه أجمل من ملابس غيره ؛ وهذا الافتخار بعيد عن الحق والصواب ، لأن الانسان الكامل لايفتخر بهذه الأشياء التافهة ، والمظاهر الحقيرة وإنما يكون التنافس والتسابق فى العلم والأدب والخلق الفاضل والعمل الصالح ، وقديما كان أباؤنا وأجدادنا يتنافسون فى الخيرات ، ويتسابقون إلى الطاعات ، ويسارعون إلى المكرمات ، فكل منهم يود أن يسبق أخاه فى ميدان الطاعة والبر ، لافى مهاوى الفجور والإثم ، لأنهم قد سمعوا الحق تبارك وتعالى يحرضهم على ذلك بقوله عز من قائل : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » . ويقول : « سابقوا إلى مغفره من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » . ويقول « إن الأبرار لفى نعيم ، على الأرائك ينظرون ، تعرف فى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » ! ! .

ولقد كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينافس سيدنا أبا بكر فى عمل الخير ، وهذا من قوة الإيمان وحسن الجهاد وبعد النظر .

فى ذات يوم طلب النبى من صحابته أن يقدم كل منهم ما يستطيع من المال والمتاع والطعام والسلاح إلى جيش المسلمين الذى سيخرج غازيا فى سبيل الله وهو محتاج إلى المعونة والمساعدة ، فقال عمر فى نفسه : والله لأسبقن أبا بكر اليوم !.

وعزم رضى الله عنه على أن يضحى بشىء يظن أن أبا بكر لا يضحى به ، فذهب إلى بيته وقسم ماله وجميع ما يملكه نصفين ، وأبقى النصف الأول لعياله وأهله ، وأخذ النصف الثانى إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له : وما الذى أبقيت لأهلك يا عمر ؟ . فيقول عمر ؟ أبقيت لهم نصف مالى يارسول الله ! . . فيشكره النبى ويثنى عليه بالخير ، وترتاح نفس عمر إلى هذا الإحسان الذى قدمه لوجه الله ، ولكن سيدنا أبا بكر رضى الله عنه يأتى بعد قليل ، وقد حمل وراءه مالا كثيراً ومتاعاً كبيراً ... لقد حمل أبو بكر ماله كله دون أن يبقى شيئاً لأولاده وأهله ، وأراد النبى أن يسأله عما أبقى لأسرته فقال له : وماذا أبقيت لأهلك يا أبا بكر ؟ ! . . فأجاب سيدنا أبو بكر جواب المؤمن الواثق بالله ، المعتمد على رزقه ، المتكل على فضله ، يارسول الله ، لقد أبقيت لهم الله ورسوله ! ! .

نعم أبقى لهم الله ورسوله ، والله أكرم من كل كريم ، ورسوله أعز من كل عزيز ، وما عندكم ينفد وما عند الله باق ! .

هنا حدث عمر نفسه بأنه لن يستطيع أن يسبق أبا بكر بعد ذلك فى ميدان الخير ، ورضوان الله على صحابة النبى أجمعين ! . . .

أبشر يا ابا بكر بالجنة :

وذات صباح خرج رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى المسجد النبوى بالمدينه فصلى بالمسلمين صلاة الفجر . وبعد السلام التفت إلى صحابته وسألهم : أيكم أصبح اليوم صائماً ؟ .فسارع سيدنا عمر بالاجابة قائلا : لم نتذكر الصوم بالليل يارسول الله ولذلك أصبحنا مفطرين ! . . ولكن النبى جعل يتلفت يمينا وشمالا كأنه يبحث

عن مجيب يجيب على سؤاله ، فإذا بسيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه يقول فى تواضع واستحياء : لقد تذكرت الصوم بالليل يا رسول الله ، ولذلك أصبحت صائماً تطوعاً لله وتقرباً ! .

فقال النبى : وأيكم زار اليوم مريضاً ؟ . فقال عمر : لقد خرجنا من بيوتنا إلى المسجد ، فلم يكن أمامنا متسع لعيادة المرضى . . . ولكن عين النبى الكريم تتجه إلى أبى بكر كأنها تستحثه على الاجابة فيجيب أبو بكر قائلا : يارسول الله ، لقد علمت أن عبد الرحمن بن عوف مريض فزرته قبل أن آتى المسجد ! . . .

فقال النبى مرة ثالثة : وأيكم تصدق اليوم بصدقة ؟ . فأجاب عمر كأنه يعتذر عن نفسه ، لقد خرجنا من بيوتنا للصلاة فى المسجد ،فلم يكن أمامنا متسع للتصدق والإحسان ! . . . فتطلع النبى إلى أبى بكر ليجيب ، فأجاب ، ولولا انتظار النبى للجواب ما أجاب من شدة حيائه وخجله وتواضعه ، قال : لقد رأيت بباب المسجد محتاجا يسأل ، وكان معى ولدى عبد الرحمن ، وفى يده شىء من الطعام ، فأخذت منه وأعطيته لذلك السائل ! ! .

هنا تهلل وجه الرسول بشراً وسروراً ، وفرحا وحبوراً ، واعتز بطاعة أبى بكر اعتزازاً كبيراً ثم قال :

فأبشر يا أبا بكر بالجنة ! . . . فأبشر يا أبا بكر بالجنة ! . . . فأبشر يا أبا بكر بالجنة ! ! .

ولم لا ينتظر أبو بكر الخير ، ولماذا لا يستبشر بالجنة كما وعده رسوله ، وهو الذى كان حريصاً كل الحرص على أداء الواجبات ، وتقديم الطاعات ، وفعل الخيرات ، وعمل القربات ؟ . . إنه من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه،وأولئك هم الفائزون ، وإنه من حزب الله ، وحزب الله هم الغالبون ! !

ولهذا قال فيه عمر الفاروق : ما سابقت أبا بكر إلى خير قط إلا سبقنى إليه وقال عنه على : هو السباق ، والذى نفسى بيده ما استبقنا إلى خير قط ، إلا سبقنا إليه أبو بكر ! ! . .

أحمد الشرباصى

المدرس بمعهد القاهرة الثانوى

من تراجم الهداة

العارف بالله
السيد عبد الرحيم ألقنائى

نشرنا فى العدد الماضى كلمة حضرة صاحب المعالى على عبد الرازق باشا وزير الأوقاف فى حفلة وضع الحجر الأساسى فى بناء مسجد السيد عبد الرحيم القنائى بقنا وننشر فيما يلى نبذة عن هذا العالم العامل الصوفى الزاهد وعن مسجده .

نسبه ونشأته :

هو العارف بالله العالم العابد أبو محمد عبد الرحيم بن احمد بن حجون بن محمد ابن حمزة بن جعفر وينتهى نسبه إلى الحسين بن على كرم الله وجهه الفقيه المالكى الصوفى الورع التقى الزاهد المغربى القنائى صاحب البركات الظاهرة والكرامات الباهرة .

ولد رضى الله عنه ببلاد المغرب وحفظ القرآن الكريم فى صغره وأشتغل بدراسة العلوم الشرعية والعربية ففاز منها بحظ وافر ثم رغب فى الرحلة لاداء مناسك الحج ومجاورة البيت الحرام فأقام بمكة سبع سنين وكان يختتم موسم الحج فيزور الحرم المدنى الشريف .

اقامته بقنا ومطانته :

لما عاد من الحجاز مر بالقصير ثم قنا حيث طابت له الأقامة بها وتزوج فيها وأنجب أولادا منهم محمد والحسن . ومكث ينشر العلم والهداية فانتفع به كثير من الناس منهم الأمام أبو الحسن على بن حميد بن الصباغ من علماء المالكية ويقول الشعرانى فى طبقاته « إن سيدى عبد الرحيم المغربى القنائى رضى الله عنه ممن جمع

الله له بين الشريعة والحقيقة وآتاه كنزا من معرفة الكتاب والحكمة » .

وقد كان كريما جوادا . يبسط موائده للفقراء ومن يقصده من الخاصة مهيبا جليلا . اذا تكلم أنصت القوم استمتاعا بحديثه وانتفاعا بقوله .

مؤلفاته ووفاته :

ألف رضى الله عنه مؤلفات فى التوحيد ورسائل فى التصوف . وأثرت عنه حكم تدل على سمو الروح وصفاء القلب وقدم راسخة فى طريق السادة الصوفية .

ومن حكمه الغالية قوله :

« أفضل الطهارة طهارة القلب مما سوى الرب » .

« عليكم بالكرم فإنه شجرة الأيمان والأمان . واياكم والشح فإنه شجرة الحرمان والخذلان » .

توفى رحمه الله فى شهر صفر سنة ٥٩٢ هـ ودفن بقنا فى ضريحه المحفوف بالرحمات والبركات .

مسجده وضريحه :

لما استقر السيد عبد الرحيم فى قنا بنى بها زاوية للعبادة والارشاد فلما توفى دفن فى جانب منها وصارت الزاوية مسجداً وفى سنة ١٩٣٠ أنشأت الوزارة مسجداً جديداً بالقرب من الضريح . ولقد أبديت رغبة ملكية سامية فى تشييد مسجد جامع فسيح الأرجاء يضم الضريح .

فاستجابت الوزارة لهذه الرغبة ووضعت مشروعا لذلك تقدر تكاليفه بنحو ٥٠٠٠٠ جنيه .

وتفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم (فاروق الأول) - أيده الله - فأرسى بيده الكريمة حجر الاساس فى بناء هذا المسجد المبارك فى يوم السبت تاسع جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ هـ (٢٠ من مارس سنة ١٩٤٨ م) فى جمع حافل بصدور الدولة ووزرائها وعلمائها وكبار موظفيها وأعيانها .

حفظ الله الفاروق ذخرا للدين وعزا للوطن وعضدا للأسلام والمسلمين .

الخطابة المنبرية

كلوا من رزق ربكم واشكروا له

ألقيت بين يدى جلالة الملك المعظم بمسجدفاروق الأول بكفر سعد بمناسبة الاحتفال بمنح الاقطاعيات الزراعية .

الحمد لله أجزل ثواب العاملين . وأحسن جزاء المخلصين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . جعل الدنيا مزرعة الآخرة . فمن زرع فيها حصد . ومن جد فيها وجد ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله . بين للناس طريق الفلاح ، وأرشدهم إلى مافيه الخير والصلاح . اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين أحسنوا فى أعمالهم وتزودوا من دنياهم لآخرتهم (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) .

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين (كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) .

أيها المسلمون : — كرم الله بنى آدم فاستخلفهم فى الأرض ليعمروها . وسخر لهم مافيها من خيرات ليستثمروها . ورزقهم من الطيبات لينعموا بها ويشكروها وبهذا تطيب الحياة . ويسعد المجتمع . . ويتم العمران .

ألا وإن من أهم وسائل العمران . العناية بالزراعة التى رغب الأسلام فيها . وحث الرسول الكريم عليها . ويسر للناس سبلها . ووعد بالأجر العظيم من أحسن العمل فيها . روى مسلم عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأ كل منه طير أو انسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة) .

وكان رسول الله منذ هاجر إلى المدينة معنياً بالزراعة، يوجه أصحابه إلى الاهتمام بها. وييسر لهم سبيل الاضطلاع بأعبائها. ويشجعهم على ممارستها. فيقطعهم الأرض لفلاحتها وزراعتها. ويمنحهم الدور والمنازل لعمارتها ورعايتها. عن أنس رضى الله عنه قال دعا النبى ﷺ الأنصار ليقطع لهم بالبحرين. فقالوا يا رسول الله إن فعلت فا كتب لأخواننا من قريش بمثله وعن وائل رضى الله عنه أن النبى ﷺ أقطعه أرضاً بحضرموت. وبعث معه معاوية ليقطعها إياه. وقال عمرو بن حريث رضى الله عنه. خط لى رسول الله ﷺ دارا بالمدينة بقوس وقال «أزيدك أزيدك»

وفى ذلك تحقيق للعدالة الاجتماعية. ورفع لمستوى الطبقات الفقيرة. وإحياء لموات لأرض. وتشجيع للأيدى العاملة. واستثمار للقوى الكامنة. وتخفيف لوطأة البطالة. وانتفاع باصحاب الكفايات. وأرباب المؤهلات. وتوجيه صالح إلى مزاولة الأعمال الحرة. ومضاعفة للجهود فى سبيل إنماء الثروة.

وفى كل هذا تشجيع على الاقتصاد الأهلى، وزيادة فى الدخل القومى، ونهوض بالأمة إلى المستوى اللائق بها بين الأمم، ولا شك أن الأنسان إذا اطمأن إلى رزقه. وتيسرت له أسباب عيشه، لا تمتد عينه إلى مافى يد غيره، ولا يطمع فى كسب المال من غير حله فيستتب الأمن، وتسود الطمأنينة، ويعم السلام.

أيها المسلمون: — إن من نعم الله على هذه البلاد. أن جعل أرضها طيبة التربة، عذبة الماء، تنبت الخير الكثير، والحب الوفير وفى ذلك إسعاد للعاملين وإعزاز للأهلين، فاتقوا الله واحمدوه على ما أولاكم. وأشكروه على ما أعطاكم (يرسل السماء عليكم مدراراً، ويمددكم بأموال وبنين، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا.)

عن أنس رضى الله عنه قال. (قال رسول الله ﷺ سبع «يجرى للعبد أجرهن وهو فى قبره بعد موته، من علم علماً أو كرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلا. أو بنى مسجداً، أو ورث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له»

الخطبة الثانية

الحمد لله ولى المتقين . ونصير المصلحين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، نسأله الهداية والتوفيق ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الهادى إلى أقوم طريق . اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ، (أما بعد) . فإن الله تعالى خالق الأرض وسخرها لنستنبت خيراتها وبركاتها : وفى حسن استثمارها بهجة الدنيا ، وزينة الحياة ، ومثوبة الخالق ورضاه قال تعالى (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون)

أيها المسلمون : — إن من يمن الطالع لهذه البلاد ، أن يسر الله لها سبيل العزة والكرامة والهناءة والسعادة ، فسارت بخطى واسعة فى سبيل المجد والفخار . يوجهها إلى ذلك مليكها الساهر على مجدها ، العامل على إعزازها وإسعادها . فيبارك بيده الكريمة مشروعا من أهم المشروعات الحيوية التى سوف تقضى على أسباب الجهل والفقر والمرض وهى نعمة من الله تستحق الحمد ، وتستوجب الشكر ، وسيجزى الله الشاكرين .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات . والمسلمين والمسلمات .

اللهم أنا نسألك أن تعز الاسلام وتنصر المسلمين وأن تعلى بفضلك كلمة الحق والدين ، وأن تشمل بعنايتك ورعايتك عبدك المخلص فى طاعتك ملك مصر فاروقا الأول أيده الله .

اللهم احفظه ووفقه لصالح الأعمال . وحقق على يديه الآمال . يارب العالمين (عباد الله) « إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى ، الآية »